المأثور من كلام الأطباء

مقدّمة

عرفت النطاسىّ العالم المرحوم الدكتور أحمد عيسى بك لأول عهدى بالشباب ، طبيبا من أكبر أطباء القاهرة ، كنت أتردد إليه كلما أحسست حاجة إلى الطب والعلاج ؛ وكان يعجبنى من صفاته وقارُه وحسن سَمْته ؛ ورفقه بالمرضى ، وعنايته بالتطبيب ، وقلما احتجت أن أعاوده فى العلة ، مرة أخرى قبل أن تعاودنى العافية ، وتمسح علىّ يد الشفاء .

وكنت فى كثير من الأحيان أدخل عليه ، فأراه مشغولا بالقراءة ، وأرى على مكتبه وحوله فى أصونة خاصة ؛ أجلادا ضخمة من الكتب فى الأدب أو اللغة أو التاريخ أو الطب القديم ، فأقول فى نفسى متعجبا ؛ هل يتسع وقت الطبيب فى عصرنا لقراءة الأدب أو اللغة أو التاريخ ؟

ثم تقدمت بى الأيام ، فأخذت أسمع اسم الدكتور أحمد عيسى بك يتردد على ألسنة باعة الكتب العربية القديمة ، وكلهم ينافس الآخر فى تحصيل النفائس ، من المخطوطات النادرة ، أو من مطبوعات أوربة ومصر والشرق العربى والهند ، ويؤثر بها جماعة من هُواة الكتب والمولعين بجمعها ؛ حتى أصبح لكل منهم خِزانة عامرة بالذخائر ، أذكر منهم طائفة من المثقفين المشتغلين بالعلم ؛ وفى مقدمتهم الدكتوران أحمد عيسى بك ، وبيومى فتحى بك ، والعلامتان أحمد تيمور باشا وأحمد زكى باشا ، والعالمان جعفر ولى باشا ، وحسن جلال باشا؛ كما أذكر منهم بعض ذوى الوجاهة والثراء ، كأحمد طلعت باشا ، ونور الدين مصطفى بك .

وقد تبين لى أن رغبة الدكتور أحمد عيسى بك فى اقتناء نفائس الكتب لم تكن مجرد شهوة للاقتناء ، دون استفادة من مطالعتها ، و إفادة لما عرفه منها ، فقد أخذ أحمد عيسى يؤلف الكتب ، وتظهر له المطابع فى الفينة بعد الفينة ، كتابا إثر كتاب ، حتى عددنا له عشرين كتابا أو أكثر ، معظمها فى الطب وما يتصل به ، أو فى تاريخه ؛ وبعضها فى الأدب أو التاريخ ، وبعضها فى اللغة .

ومن الكتب التى تركها مسوّدة لم تبيض ، كتابه الذى أسماه :

"المأثور من كلام الأطبّاء"

الذى نقدمه بهذه الكلمة الموجزة ، وهو « مجموعة من الحكم والمواعظ ، مما أثر عن كبار الحكماء والفلاسفة والأطباء الأقدمين » .

وكلام المؤلف فى مقدمة هذا الكتاب يقفنا على الغرض من تأليفه ، ويشعرنا بأنه رجل يحب أمته ، ويرغب فى خدمتها رغبة شديدة ، لا من ناحية الطب وحده ، وهو فنه وعمله الأصلى فى تقوية الأجسام ، بل من ناحية تقوية بنيتها العقلية والخلقية كذلك ؛ فهو رجل قد جمع إلى الحذق فى صناعة الطب ، صفة المربّى الفيلسوف ، الذى ينهج للأمة المناهج العقلية والخلقية ؛ ومن أجل ذلك لم يكتف أحمد عيسى بثقافته العلمية الخالصة طبيبا ، بل شارك أهل جيله من الفضلاء ، فى كسب ثقافة أدبية ولغوية واسعة ، مزجها بثقافته العلميــة ، وأخرج منها نتاجا جديدا ذا لون خاصّ ، حرص على إذاعته فى الناشئين من أبناء جيله ، وفيمن يأتى بعدهم من الأجيال ، حرص الوالد الشفيق ، يورث أبناءه أعز ما كسب فى حياته ، لا يسألهم عليه أجرا ولا شكورا .

أما جمهور مادة هذا الكتاب ، فهو وصايا طبية ، يدخل كثير منها فى معنى « أدب الطبيب » فى صناعته ، وحسن معاملته المرضى ، وما إلى ذلك ؛ ويدخل أكثرها فى باب « التجارب الطبية وغير الطبية » التى ينتفع بها الناس فى كل زمان . ومن عجب أن تلك الوصايا فى جملتها ، لم تخلق جدتها ،

مع ما طرأ على العلوم ، وخاصة الطب ووسائل العلاج ، من تغيير جوهرى كبير ، وهذا يدلنا على أن من الحقائق ما هو ثابت ثبوتا مطردا على الزمان ، لا يؤثر فيه اختلاف الأعصار ، ولا تعاقب الأجيال .

فى هذا الكتاب سبع وخمسون ترجمة ، نقلها المؤلف من كتاب التراجم الخاصة بالأطباء والحكماء والفلاسفة ، مثل « عيون الأنباء ، فى طبقات الأطباء » لابن أبى أصيبعة ، و « إخبار العلماء ، بأخبار الحكماء » للقفطى ؛ ولكن أكثر تراجمه من كتاب « تاريخ حكماء الإسلام » لظهير الدين البيهقى ، طبعة دمشق ، أو من نسخته المطبوعة بلاهور من بلاد الهند ، باسم : « تتمة صوان الحكمة » . ومن بينها ترجمتان من كتاب « شذرات الذهب ، فى أخبار من ذهب » لابن العماد الحنبلى ، وترجمة واحدة من كتاب « الديباج المُذْهَب ، فى تاريخ علماء المذهب » لابن فرحون المالكى .

والمؤلف ينقل عن هذه المصادر نقلا حرفيا ، لا يكاد يحدث فيه تغييرا إلا فى القليل النادر ؛ ولعل هذا ما جعله يتركه مسوَّدة بلا تبييض ، ولكن كثيرا من المصادر التى عول على النقل منها مطبوع طبعا رديئا جدا ، وقد نقل منها دون تصحيح لما فيها من أخطاء ؛ ذلك إلى أن بعض المؤلفين كابن أبى أصيبعة والشهرزورى جمع روايات كثيرة ، فيها تناقض فى مواضع ، ولم يحقق أمرها ، ولذلك بقيت مصدراً لكثير من خطأ النَّقَلة من العلماء الذين اعتمدوا عليها فى مؤلفاتهم .

ولما عَهدت إلى إدارة جامعة فؤاد الأول فى الإشراف على طبع هذا الكتاب ، قصدت أول كل شئ إلى تحقيق مادته ، لأنفى عنها كل ما يلابسها من خطأ أو شك ، وقد ظهر لى فيه أخطاء كثيرة تاريخية ولغوية وخطية ، وفيه عبارات مغلقة أحيانا ، وعبارات مبتورة ، يغمض معها المعنى ، فجهدت لأرد كل ما فيه من خطأ أو شك إلى الصواب الذى لا مرية فيه ، مع التنبيه على ما فى الأصول من فساد ، والإشارة إلى مراجع البحث ، وجعلت كل تعليقاتى فى هوامش الكتاب ، بحرف أصغر من حرف الأصل ، مع ما أضفته إليها من شرح لفظ غريب ؛ أو زيادة ينكشف بها كلام الأصل ويستقيم .

وقد وضعت للكتاب بعد طبعه ثلاثة فهارس : أولها لأصحاب التراجم ، وثانيها للأعلام ، وثالثها للبلدان والمواضع ، وقدمته بهذه المقدمة الموجزة ، التى تناسب حجمه وموضوعه .

وإنى أعتقد أن المؤلف كان خالص النية فى تأليف هذا الكتاب . ويسرنى أنى شاركت الجامعة فى إخراج هذا الأثر من آثار طبيب عالم فاضل ، طالما تمنى الخير لوطنه وأمته .

مصطفى السقا

أستاذ بجامعة فؤاد الأول
كلية الآداب

القاهرة فى يوم السبت ١٨ صفر سنة ١٣٧١
١٧ نوفبر سنة ١٩٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على جميع أنبيائه .

عندما أتممت حَلْقة التعلُّم ، ودخلت مَيدان العمل والتجارب ، كان أولَ ما خطر بالبال ، القيامُ بخدمة أنفع بها أبناء وطنى ، فوجدت بعد طول التأمُّل ، أنَّ أنفع خِدمة يكون لها أثر بالغ ، ما كان لها علاقة بالنَّشْء[1] ، والعناية بتربيتهم ، والاهتمام بصحتِهم ؛ فالعقل السليم فى الجسم السليم .

وكانَ أولَ حَلْقة من سلسلة هذه الخِدمة : أنْ وضعتُ كتاب « صحة المرأة فى أدوار حياتها » : الطُّفولة ، والبُلوغ ، والمراهقة ، والشيخوخة ؛ وذلك يشمل الذكورَ والإناث على السواء .

وكانت الحَلْقة الثانية من تربية النشْء : التربيةُ الخُلُقية ، وتعويدُهُمُ الأخلاقَ الفاضلة ، كالشجاعة ، والمُروءة ، والنَّجْدَة ، والكرم ، والصدق ؛ فوضعتُ لذلك كتاب « الترقيص ، أو الغناء للأطفال عند العرب » . وهو مجموع قطع شعرية ، من أبلغ ما نطق به العرب ، يُغَنَّى بها للطفل ، حتى يتعوَّد من صغره على ما فيها من الحَضّ على مكارم الأخلاق ؛ وفيها من القِطَع ما قيل للنبىّ الكريم ، صلى الله عليه وسَلَّم ، وللحسن والحسين ، ولبعض الصَّحابة ، ورجالات العرب .

---

(١) النشء ، بفتح النون ، وسكون الشين : جمع ناشىء ، وهو الصبى الحدث بلغ سن المراهقة ، أو شب وبلغ قامة الرجل . ويقال : جارية ناشىء وناشئة أيضا . ونظيره من الجموع : صحب جمع صاحب . ويقال فيه أيضا : نشأ ، بتحريك الشين ، ونظيره : خدم جمع خادم ، وهذا قليل .

وهذه الحلْقة الثالثة ، ختام السلسلة : وهى مجموعة من الحكم والمواعظ ، مما أُثِر عن كبار الحكماء والفلاسفة ، من الأطبّاء الأقدمين . وقد كان أكثرهم من كبار الفقهاء والمحدِّثين والمتكلّمين ، قبل أن يكونوا أطباء ؛ فهذه المجموعة هى عُصارة أفكارهم ، وخلاصة تجاربهم فى الحياة .

وأسميتها كتاب : « المأثور من كلام الأطبّاء » ، يسترشد بها الكَهْل فى حياته ، ويستنير فى أعماله وأحواله .

وإنى أسأل الله أن ينفع بها الناس ، بقدر ما كان من حسن النية فى اختيارها ، والله يهدى من يشاء إلى سَوَاءِ السبيل .

دكتور أحمد عيسى

١

الحارثُ بن كَلَدَةَ الثقفيّ [١]

هو الحارث بن كَلَدَة بن عمرو بن عِلاج الثَّقفيّ ، طبيب العرب فى وقته . أصله من ثقيف ، من أهل الطائف ، رحَل إلى أرض فارس ، وأخذ الطبّ عن أهل « جُنْدَىْسَابور [٢] » وغيرها فى الجاهلية ، وجاد فى هذه الصناعة ، وطَبَّ [٣] بأرض فارس ، وحصل له بذلك مال هناك ، وشهد أهل فارس ممن رآه بعلمه ؛ ثم اشتاقت نفسه إلى بلاده ، فرجع إلى الطائف ، واشتهر طبُّه بين العرب .

وأدرك الحارث بن كَلَدَةَ الإِسلام [٤] . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر من كانت به عِلة أن يأتيَه ، فيسأله عن عِلّته .

---

(١) منسوب إلى ثقيف ، قبيلة عربية مشهورة . خرج منها عظماء كثيرون ، كانت تسكن الطائف ، فى الجنوب الشرقى من مكة ، وهى مصيف أهلها ، تشبه الشام فى كثرة فواكهها وارتفاعها .

(٢) جندا سابور : مدينة بخوزستان من بلاد فارس ، بناها سابور بن أرد شير ، وكانت من أهم المراكز لتعليم الفلسفة اليونانية وعلوم الطب زمن الأكاسرة .

(٣) طب : اشتغل بصناعة الطب . يقال : طبه يطبه طبا ، من باب نصر : داواه . وفى المثل : « اعمل عمل من طب لمن حب » أى عمل حاذق لمن يحبه .

(٤) الحارث بن كلدة : رجلان : أحدهما طبيب العرب المشهور ، والآخر : ابنه الحارث ابن الحارث . قال أبو عبد الله بن عبد البر النمرى فى كتابه « الاستيعاب ، فى معرفة الأصحاب » : الحارث بن الحارث بن كلدة الثقفى ، كان أبوه طبيبا فى العرب حكيما . وهو من المؤلفة قلوبهم ، معدود فيهم ، وكان من أشراف قومه . وأما أبوه الحارث بن كلدة فمات فى أول الاسلام ، ولم يصح إسلامه . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر سعد بن أبى وقاص أن يأتيه ويستوصفه فى مرض نزل به » . ويدل هذا الخبر على أن الطب جائز شرعا ، وأن المسلم المريض يجوز أن يلجأ إلى غير المسلمين من الأطباء الموثوق بهم ، ولذلك استعان كثير من خلفاء الاسلام مهرة الأطباء من اليونانيين والسريانيين ، والمسيحيين واليهود ، وغيرهم ، ممن حذقوا هذه الصناعة علما وعملا .

وبقى الحارث أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأيام أبى بكر وعمر وعثمان وعلى بن أبى طالب ومعاوية[١]. وكان الحارث بن كَلَدة يضرب بالعُود، وكانت له معالجات كثيرة، ومعرفة بما كانت العرب تعتاده، وتحتاج إليه من المداواة.

ومن كلامه:

١ — مَرَّ الحارث بن كَلَدة بقوم وهم فى الشمس[٢]، فقال: عليكم بالظل، فإن الشمس تُنهِجُ[٣] الثوب، وتنقل[٤] الريح، وتُشْحِب اللَّوْن[٥]، وتَهيج الداءَ الدَّفين.

---

(١) المعروف عند جمهرة المؤرخين أن الحارث بن كلدة الطبيب العربى الجاهلى توفى فى أولى الاسلام؛ قيل فى السنة التى مات فيها الخليفة أبو بكر، أخذا مما رواه الليث بن سعد عن الزهرى، قال: أهدى لأبى بكر طعام وعنده الحارث بن كلدة طبيب العرب، فأكلا منه. فقال الحارث لأبى بكر: لقد أكلنا والله فى هذا الطعام سم سنة، وإنى وإياك لميتان عند رأس الحول. فماتا جميعا عند انقضاء السنة. (انظر العقد الفريد، طبعة الأزهرية سنة ١٩٢٨ ج ٤ : ٢٨٢). وقيل: كان الحارث بن كلدة طبيب العرب، وكان عقيما لا يولد له، وأسلم ومات فى خلافة عمر. (ابن قتيبة: كتاب المعارف، طبعة مصر سنة ١٩٣٤ ص ١٢٥). (أقول): لعل الذى تأخرت وفاته إلى أيام معاوية، هو الحارث بن الحارث ابن كلدة الذى ذكرناه فى الحاشية رقم (٤) ص ٣.

(٢) كذا ورد هذا الخبر عند ابن أبى أصيبعة فى (كتاب عيون الأنباء، فى طبقات الأطباء، طبع الوهبية بالقاهرة سنة١٨٨٢ج١ : ١١٢) وروايته عند ابن حجر العسقلانى فى كتاب (الاصابة، فى تمييز الصحابة، طبعة السعادة بمصر، الترجمة رقم ١٤٧٢): كان [الحارث] يجلس فى مقنأة، فقيل له فى ذلك. فقال: «الشمس تثفل الريح، وتبلى الثوب، وتخرج الداء الدفين». قال العسكرى: المقنأة، بالقاف والنون: الموضع الذى لا تصيبه الشمس. وقوله «تثفل» بالمثلثة والفاء المكسورة: أى تغيره».

(٣) تنهج: تبلى وتخلق.

(٤) تنقل الريح: كذا فى ابن أبى أصيبعة. وقد مر تصويب اللفظ وشرحه فى الحاشية رقم (٢).

(٥) يقال: شحب وجه فلان يشحب، من باب فتح ونصر وكرم وعنى: تغير من هزال أو جوع أو سفر. وليس فيما ذكرته المعاجم من هذه المادة فعل رباعى، ولا فعل متعد، إلا قولهم: شحب الأرض من باب منع: قشرها بمسحاة وغيرها. فيجوز أن يضبط الفعل المضارع الذى جاء فى كلام الحارث كيمنع، استئناسا بهذا المثال، لما فيه من رائحة المعنى، إذ قشر وجه الأرض بالمسحاة ونحوها ضرب من التغيير. وضبطناه بضم الياء وكسر الحاء، لأن تعدية الفعل الثلاثى اللازم بالهمزة قياسية.

٢ — البِطْنة بيت الدَّاء، والحِمْية رأسُ الدَّواء، وعوّدوا كلّ بدن ما اعتاد[١].

٣ — من أراد البقاء ولا بَقاء[٢]، فليُجوّد الغِـذاء، وليأكل على نَقاء[٣]، وليْشرب على ظَمَاء[٤]، وليُقِلَّ من شرب الماء، ويتمددْ بعد الغَداء، ويتمشَّى[٥] بعد العَشاء، ولا يَبيتُ[٥] حتى يَعرِض نفسه على الخَلاء.

٤ — دخول الحمام على البِطْنة[٦] من شر الداء، ودَخْلَةٌ إلى الحَمَّام فى الصيف، خير من عَشْر فى الشتاء، وأكل القَديد[٧] اليابِس فى الليل، مُعين على الفناء، ومجامعة العجوز تهدِم أعمار الأحْياء.

٥ — من سَرَّه النَّساء ولا نَساء[٨]، فليُبكِر[٩] العَشاء،

---

(١) فى ابن أبى أصيبعة: « قيل: هو من كلام عبد الملك بن أبجر. وقد نسب قوم هذا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأوله: « المعدة بيت الداء ». وهو أبلغ من لفظ البطنة ».

(٢) أى لا خلود فى الدنيا فى الحقيقة، ولكن إذا كان شىء يطول الأجل، فهو كذا. وهذا على معنى الاغراء بالشىء، والنصيحة باتباعه.

(٣) أى لا يدخل طعاما على طعام.

(٤) الظماء: لغة فى الظمأ، وهو العطش.

(٥) كذا ورد الفعلان: يتمشى، ويبيت، بالرفع فيهما، فى ابن أبى أصيبعة، وهو صحيح على الاستئناف، والأحسن عطفهما على ما قبلهما بالجزم.

(٦) البطنة، بكسر الباء: امتلاء البطن من الطعام.

(٧) القديد: اللحم المجفف.

(٨) فى الأصل: البقاء فى الموضعين، والمؤلف نقل عن « عيون الأنباء » لابن أبى أصيبعة، وعبارته « النساء » فى الموضعين، وهو كالبقاء وزنا ومعنى.

(٩) فليكر: كذا فى « عيون الأنباء » الذى نقل عنه المؤلف، وفسره ابن أبى أصيبعة، فقال: « ومعنى فليبكر: يؤخر ». ولم أجد « يكر » بهذا المعنى فى كتب =

ولْيبا كِر الغَدَاء ، ولْيخفف الرِّداء [١] ، ولْيُقِلَّ غِشْيان النساء .

٦ — أربعة أشياء تَهْدِم البَدَن : الغِشْيانُ على البِطْنَة ، ودخول الحمّام على الامتلاء ، وأكل القَدِيد ، ومجامعة العجوز .

٧ — لا تتزوَّجُوا من النساء إلا شابّة ، ولا تأكلوا الفاكهة إلا فى أوان نُضْجِها ، ولا يَتَعالَجَنَّ أحد منكم ما احتمل بدنُه الداء . وعليكم بالنُّورة [٢] فى كل شهر ، فإنها مُذيبة للبلغْم [٣] ، مُهْلِكة لِلمِرَّة [٤] ، مُنبتة للحم . وإذا تغدّى أحدكم فلينمْ على أَثَر غدائه ، وإذا تعشّى فَلْيَخْطُ أربعين خُطوة .

= اللغة . وفى رواية أخرى عن عبد الملك بن عمير : « وليعجل العشاء » . قال ابن أبى أصيبعة (١ : ١١٢) : وهو أصح . أقول : ولعل أصل العبارة : فليباكر العشاء والغداء ، أى لا يؤخرهما ، (كما فى لسان العرب لابن منظور : فى ردى) .

(١) الرداء : الدين . قال ثعلب : وقول حكيم العرب : من سره النساء ولا نساء ، فليباكر الغداء والعشاء ، وليخفف الرداء ، وليجد الحذاء ، وليقل غشيان النساء . الرداء هنا : الدين . قال ثعلب : أراد : لوزاد شىء فى العافية لزاد هذا ، ولا يكون . وقال الأزهرى فى التهذيب : وروى عن على كرم الله وجهه أنه قال : من أراد البقاء ولا بقاء ، فليباكر الغداء ، وليخفف الرداء ، وليقل غشيان النساء . قالوا له : وما تخفيف الرداء فى البقاء ؟ فقال : قلة الدين [بفتح الدال] . قال أبو منصور الأزهرى : وسمى الدين رداء ، لأن الرداء يقع على المنكبين والكتفين ومجتمع العنق ، والدين : أمانة ، والعرب تقول فى ضمان الدين : هذا لك فى عنقى ، ولازم رقبتى ؛ فقيل للدين رداء ، لأنه لزم عنق الذى هو عليه كالرداء الذى يلزم المنكبين إذا تردى به . انظر لسان العرب فى « ردى » ، وعيون الأنباء لابن أبى أصيبعة (١ : ١١٢) .

(٢) النورة ، بضم النون : حجر أو رخام يحرق ، فيصير كلسا ، ثم يمزج به الزرنيخ ، ويطلى به شعر العانة ، فيزيله . قاله الشيخ داود الأنطاكى فى تذكرة أولى الألباب .

(٣) البلغم : خلط (بكسر الخاء) من أخلاط الجسم ، وهى رطوباته التى يستحيل إليها الغذاء ، مثل الدم والصفراء . (انظر تذكرة أولى الألباب للشيخ داود الأنطاكى) .

(٤) والمرة أيضا : من أخلاط الجسم وهى الصفراء . أقول : ولم أفهم تعليله استعمال النورة فى كل شهر لازالة الشعر بما ذكره من خواصها ، إلا أن يكون أراد ذكر جملة خواصها عند الأطباء .

٨ — دافعْ بالدواء[1] ما وجدْتَ مَدْفَعا ، ولا تَشْرَبْهُ إلّا مِنْ ضرورة ، فإنه لا يُصلِح شيئًا إلّا أفسد مثله .

٢

عبد الملك بن أَبْجَر الكنانىّ

كان طبيبًا عالمًا ماهرا ، وكان فى أول أمره مقيما بالإسكندرية ، متوليا التدريس فيها . ولما استولى المسلمون على البلاد ، وملكوا الإسكندريّة ، أسلم ابن أبجر ، على يد عُمَر بن عبد العزيز ، وكان حينئذ أميرا ، قبل أن تصل إليه الخلافة ، وصحبه ؛ فلما أفضت الخلافة إلى عمر ، وذلك فى سنة ٩٩ هـ ، نقل التدريس إلى أَنْطاكِيَة وحَرَّان ، وتفرّق فى البلاد . وكان عمر بن عبد العزيز يستطبُّه ، ويعتمد عليه فى صناعة الطب .

ومما يُؤْثَر عن ابن أَبْجَرَ قولُه :

١ — دَعِ الدَّواء ، ما احتمل بدَنُك الداء .

---

(١) دافع بالدواء . . . الخ : هذه العبارة تحتمل وجهين : الأول : أن تكون الباء فى « بالدواء » أصلية متعلقة بالفعل قبلها ، أى دافع العلة بالدواء ، ما وجدت إلى الدواء سبيلا ، ولا تقصر فى التماس العلاج للداء ما أمكنك ذلك . والثانى : أن تكون الباء فى « بالدواء » زائدة من الناسخين ، والمعنى امنع الدواء وباعده ما استطعت ، ويؤيده قوله بعده : ولا تشربه إلا من ضرورة ؛ وقول الحكيم عبد الملك بن أبجر الكنانى ، وستأتى ترجمته بعد هذه : « دع الدواء ما احتمل بدنك الداء » . وهذا المعنى فى كلام الأطباء كثير ، مثل : « إياك وشرب الدواء ما حملتك الصحة » . و « مثل : الدواء فى البدن مثل الصابون فى الثوب : ينقيه ويخلقه » أى يبليه . (انظر العقد الفريد ، طبعة الأزهرية سنة ١٩٢٨ ج ٤ : ٢٧٩) .

٢ — المَعِدةُ حوض الجَسَد ، والعروق تشْرَع [١] فيه ، فما ورد فيها بصحة صَدَر بصحة ، وما ورد فيها بسُقْم صدر بسقم .

٣

تَيَاذُوق

كان طبيبا فاضلا ، له نوادر وألفاظ مستحسنة ، وكان فى أول دولة بنى أميّة ، واختص بخدمة الحَجَّاج بن يوسفَ الثَّقَفِىّ ، المتولِّى من جهة عبد الملك بن مَرْوان .

ومات فى زمن المنصور [٢] .

ومن كلامه :

١ — قال للحجّاج : لا تنكِحْ إلاّ شابّة ، ولا تأكل من اللّحم إلا فَتِيّا ، ولا تشربِ الدواءَ إلا من عِلّة ، ولا تأكلِ الفاكهة

---

(١) يقال : شرعت الدواب فى الماء تشرع شرعا وشروعا : دخلت فشربت الماء . (عن تاج العروس) . يريد أن العروق تمتص الغذاء بعد هضمه فى المعدة ، فان كان غذاء صالحا نافعا انتفع به البدن ، وإن كان غذاء سيئا غير صالح أضر بالبدن .

(٢) فى عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة (١ : ١٢٣) ومات تياذوق بعدما أسن وكبر ، وكانت وفاته بواسط فى نحو سنة تسعين للهجرة . وهذا صريح فى أنه لم يدرك الدولة العباسية التى قامت سنة ١٣٤ هـ . وعبارة «ومات فى زمن المنصور» التى نقلها المؤلف عن القفطى (كتاب إخبار العلماء ، بأخبار الحكماء ، طبعة السعادة بالقاهرة ص ٧٤) . ليست فى الحقيقة مسوقة للاخبار عن موت الحكيم تياذوق الذى مات فى حياة الحجاج ، كما أخبرنا ابن أبى أصيبعة (١ : ١٢٣) ، وإنما هى خبر عن بعض تلاميذه . قال القفطى : « تياذوق طبيب فى صدر دولة الاسلام ، مشهور فى الدولة الأموية ، واختص بخدمة الحجاج بن يوسف . وله تلاميذ أجلة ، تقدموا بعده ، ومنهم من أدرك الدولة العباسية ، كفرات بن شحناثا طبيب عيسى بن موسى ، مات فى زمن المنصور » . وقد ظن المؤلف أن هذه الجملة الأخيرة خبر عن تياذوق ، وليس كذلك ، فهى خبر عن فرات بن شحناثا الذى أدرك الدولة العباسية ، وصار طبيبا لبعض أمرائها : عيسى بن موسى .

إلا فى أوان نُضْجها، وأجِدْ مَضْغ الطعام، وإذا أكلت نهارا، فلا بأس أن تنام، وإذا أكلت ليلاً فلا تَنَمْ حتى تمشىَ ولو خمسين خَطْوة.

٢ — وأوْصى تَياذوق الحجّاج فقال: لا تأكلنّ حتى تجوع، ولا تتكارَهَنَّ على الجماع، ولا تحبس البَوْل، وخذ من الحَمّام قبل أن يأخذ منك.

٣ — أربعة تهدِم العُمُر وربما قتَلْن: دخول الحمام على البِطْنَة، والمجامعة على الامتلاء، وأكل القَدِيد الجافّ، وشرب الماء البارد على الرِّيق.

٤ — سأل أحد الملوك تياذوق، فقال: صِفْ لى ما أعتمد عليه، فأسوسَ به نفسى، وأعملَ به أيامَ حياتى.

فقال تَياذوق: عشرة أبواب إن عَمِلْتَ [١] واجتنبتها لم تَعتَلَّ مدةَ حياتك، وهى هذه:

لا تأكل طعاماً وفى معدتك طعام. ولا تأكل ما تَضعُف أسنانُك عن مَضْغه، فتضعُفَ معِدتُك عن هضمه. ولا تشرب الماء على الطعام حتى تفرُغ ساعتين، فإن أصل الداء التُخَمَة، وأصلَ التخمة الماء على الطعام. وعليك بدخول الحَمَّام، فى كل يومين مرة

(١) إن عملت: كذا كتبها المؤلف فى الأصل بتقديم الميم على اللام، وهو الصواب. يريد مهما عملت من شىء واجتنبت هذه المحظورات العشرة لم تعتل. وفى ابن أبى أصيبعة: «علمت»، تحريف.

واحدة ، فإنه يخرج من جَسدك ما لا يصل إليه الدواء . وأكثر الدمَ في بدنك ، تَحْرُسْ به نفسَك . وعليك[١] في كل فصل قَيْئةً ومُسْهلة . ولا تحبِس البولَ وإن كنت راكبا . واعرِض نفسك على الخَلاء[٢] قبل نومك . ولا تكثر الجماع ، فإنه يقتبس من نار الحياة ، فلا يَكثُر[٣] أو يَقِلّ . ولا تجامع العَجوز ، فإنه يُورِث الموت الفَجْأَة[٤] .

٤

يُوحَنَّا بن ماسَوَيْه

كان طبيبًا ذكيًا فاضلا ، خبيرًا بصناعة الطبّ ، وله كلام حسن ، وتصانيف مشهورة ، وكان مُبَجَّلا حَظِيًا عند الخلفاء والملوك ، اكتسب كثيرًا من صناعة الطب ، وكان طبيبا للواثق ، وقلّده الرشيد ترجمة الكتب القديمة ، مما وجده بأَنقِرةَ وعَمُّورِيَةَ[٥] ، وسائر بلاد الروم ، ووضعه أمينا على الترجمة . وخدم هارونَ ، والأمين ، والمأمون ، والمعتصم ، والواثق . وبقى على ذلك إلى أيام المتوكل .

وكانت وفاته بِسُرَّ من رأى يومَ الاثنين ، لأربع خلونَ من جُمادى الآخرة ، سنة ٢٤٣ هـ ، في خلافة المتوكل .

(١) عليك : بمعنى الزم ، اسم فعل أمر .

(٢) الخلاء : يريد بيت الخلاء ، وهو كناية عن المرحاض أو الكنيف .

(٣) عبارة ابن أبي أصيبعة (١ : ١٢٢) فليكثر ، تحريف ، والتصويب من المؤلف .

(٤) موت الفجأة ، بفتح الفاء ، وموت الفجاءة بضمها : الذي يهجم على الانسان من غير أن يشعر به . والموت الفجأة ، بالوصف دون الاضافة ، أقيم المصدر مقام الصفة المشتقة ، أي الموت المفاجىء .

(٥) أنقرة وعمورية : مدينتان بآسيا الصغرى ، كانتا من بلاد الروم « الأناضول » قبل أن يفتتحهما الأتراك .

ومن كلامه :

١ — سُئِل عن الخير الذى لاشَرَّ معَه . فقال : شُرْب القليل من الشّراب الصافى .

ثم سئل عن الشرّ الذى لا خيرَ معه . فقال : نكاح العجوز .

٢ — أكل التُّفَّاح يرُدّ النَّفْس .

٣ — عليك من الطعام بما حَدَث ، ومن الشراب بما عَتَق .

٥

بُخْتَيشُوع بن جَبْرائيل بن بُخْتَيشُوع (١)

كان سُرْيانيا نبيل القدر ، وبلغ من عِظَم المنزلة والحال ، وكثرة المال ، ما لم يبلغه أحد من سائر الأطبّاء الذين كانوا فى عصره . وكان يضاهى الخليفة المتوكلَ على الله ، فى اللِّباس ، والزِّى ، والطِّيب ، والفَرْش ، والضِّيافات .

وتُوُفِّىَ بُخْتَيَشُوع يوم الأحد لثمان بقين من صفر سنة ٢٥٦ هـ .

ومن كلامه :

١ — الشُّربُ على الجوع رَدِىء ، والأكل على الشِّبَع أردأ .

٢ — أكل القليل مما يضرّ ، أصلح من أكل الكثير مما ينفع .

---

(١) معنى بختيشوع : عبد يشوع . ويشوع وأيشوع : اسم المسيح عليه السلام .

٦

ثابتُ بن قُرَّة الحَرَّانى

هو ثابتُ بن قُرَّةَ بن مَرْوانَ بن ثابت بن كَرَايا بن إبراهيم ، كان من الصابئة المقيمين بِحَرّان . قرأ على محمد بن موسى ، فتعلم فى داره ، فوصله بالمعتضد ، وأدخله فى جملة المنجِّمين ، ولم يكن فى زمنه من يماثله فى صناعة الطبّ ، ولا فى غيره من جميع أجزاء الفلسفة . وله تصانيف مشهورة بالَجودة ، وله أرصاد حِسان للشمس ، تولّاها ببغداد . وكان جيِّد النقل إلى العربىّ ، حسن العبارة . وكان قوىّ المعرفة باللغة السُّرْيانية وغيرها . وكان المعتضد يجلسه بين يديه كثيرا ، وأقطعه ضياعا جليلة .

وكان مولد ثابت فى يوم الخميس ١١ صفر سنة ٢١١ هـ بِحَرّان ، وتوفى سنة ٢٨٨ هـ وله من العمر سبع وسبعون سنة .

ومن كلامه :

١ — ليس شىءٌ أضرّ بالشيخ من أن يكون له طبّاخ حاذق ، وجارية[١] حسناء ، لأنه يستكثر منَ الطعام فيَسْقَم ، ومن النكاح فيهرَم .

٢ — راحة الجسم فى قِلّة الطعام ، وراحة النفْس فى قلة الآثام . وراحة القلب فى قلة الاهتمام[٢] ، وراحة اللسان فى قلة الكلام .

---

(١) فى « تاريخ حكماء الاسلام ، لظهير الدين البيهقى ، طبعة دمشق ص ٢٠ » : امرأة ، فى مكان : جارية .

(٢) الاهتمام : الهم والقلق .

٧

حُنَين بن إسحاق

هو أبو زَيد: حُنين بن إسحاقَ العِبادىّ . والعِباد : قبائل شتى من بطون العرب ، اجتمعوا على النصرانية كانوا ، يسكنون الحِيرة .

كان حُنين بن إسحاق فصيحا لَسِنا ، بارعا شاعرا ، أقام مدة بالبصرة ، وكان شيخُه بها فى العربية الخليلَ بن أحمد [١] ، وكان زميلا لِسِيبَوَيْهِ [٢] فى الاشتغال على الخليل بن أحمد [٣] . ثم انتقل إلى بغداد ، واشتغل بصناعة الطبّ ، وقرأ على يُوحنا بن ماسَوَيه ، وتعلم اللسان اليونانىّ ، علما كانت له فيه رِياسة . ونقل حُنين كتبا كثيرة من كتب جالِينُوس ، بعضها إلى اللغة السُّريانية ، وبعضها إلى العربية . وكان حنين أعلم أهل زمانه باللغة اليونانية والسريانية والفارسية ، مع إتقان العربية . وسأله المأمون نقل كتب الحكماء من اليونانيين إلى العربية ، وبذل له من الأموال والعطايا شيئا كثيرا . واختاره المتوكل على الله رئيسا للتراجمة ، ووضع له كُتَّابا نحارير ، عالمين بالترجمة ، كانوا يترجمون ويتصفح ماترجموا ، كأَسْطَفان بن باسيل ، وموسى بن خالد .

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدى الأزدى : أحد الأذكياء المخترعين من العرب ، ألف أول معجم لغوى عربى ، على ترتيب الحروف ، مبتدئا بحروف الحلق ، وسماه كتاب « العين » . واخترع علم العروض ، ووضع قواعده ومصطلحاته وضعا محكما . وأملى على تلميذه « سيبويه » إمام نحاة البصرة ، كثيرا من مادة « الكتاب » فى النحو والصرف واللغة ، وتوفى الخليل سنة خمس وسبعين ومئة ، على أرجح الأقوال .

(٢) سيبويه : أشهر تلاميذ الخليل ، ومعنى سيبويه : رائحة التفاح . وهو بكسر السين وفتح الباء والواو ، وسكون الياء وبناء الهاء على الكسر . أو بضم الباء ، مع فتح الياء ، وإسكان الهاء آخر الحروف . وكان سيبويه ذكيا ، واسم العقل ، ألف كتابه الكبير ، الذى جمع فيه مادة النحو جمعا منظما مستقصى ، فكان دستورا للنحاة ، ولا يزال المرجع الأول لعلوم اللغة والنحو ، توفى سيبويه سنة ثمانين ومئة على أرجح الأقوال .

(٣) نقل المؤلف كلام ابن أبى أصيبعة خبر تلمذة حنين للخليل ، وهو خبر غامض غير معقول ، لأن حنينا ولد سنة ١٩٤ بعد موت الخليل وسيبويه بأكثر من عشر سنين .

ويُحكى أن المأمون كان يعطيه من الذهب زِنة ما ينقله من الكتب إلى العربية ، وكان بنو موسى بن شاكر يرزُقون حُنين بن إسحاق مالا كثيرا فى الشهر ، للنّقل والملازمة . وصنف حنين بن إسحاق لولديه كتبا طبّية ، ونقل لهما كتبا كثيرة من كتب جالينوس وأبُقْراط .

وكان مولد حنين سنة ١٩٤ هـ . وتوفى فى زمان المعتمد على الله ، وذلك فى يوم الثلاثاء ، لست خَلَونَ من صفر سنة ٢٦٤ هـ ، وكانت مدة حياته سبعين سنة .

ومن كلام حُنين بن إسحاق :

١ — الليل نهار الأديب .

٢ — من شرب على الرِّيق ، وجامع على الجوع ، فقد جرّ الموت إلى نفسه بحبل .

٣ — من ترك الأكل على السُّكْر ، والتمتع فى الحمّام ، وإدخال الطعام على الطعام ، فقد استغنى عن الطبيب .

٤ — لا تَعجَبْ من موت الحيوان ، فإنّ طعامه وشرابه سببُ هلاكه .

٥ — من وضع علما وصِناعة كان كمن بنى دارا ، ومن شرح وفسّر ذلك الأصل ، كان كمن طَيّنَ سطحها وجَصّصَها ، وليس من جَصَّص دارًا وكلّسها [1] كمن بناها .

---

(١) فى الأصل ، وفى تاريخ حكماء الاسلام للبيهقى ص ١٨ : كنسها . والسياق يقتضى كلسها ، أى طلاها بالكلس ، وهو الجير .

٦ — من خاف شقاوة الدنيا ، ما اكتسب سعادة العُقْبَى .

٧ — كل زمان يلائم علما وعادة وصنفا[1] من الإنسان .

٨

إسحاق بن حُنَيْن بن إسحاق

هو أبو يعقوب إسحاق بن حُنين بن إسحاق العِبادىّ المتقدم ذكره . كان يُلحَق بأبيه فى النقل ، وفى معرفة اللغات ، ونقلُه للكتب الطبية قليل جدا بالنسبة إلى ما يوجد من كثرة نقله من كتب أَرِسْطُوطَالِيس فى الحكمة إلى لغة العرب ، وكان من نُدماء المكتفى بالله ، وكان من جملة المسلمين ، وقد حسن إسلامه .

توفى ببغداد فى أيام المقتدر . وذلك فى شهر ربيع الآخِر سنة ٢٩٨ هـ .

ومن كلامه :

١ — قليل الراح صديق الرُّوح ، وكثيرها عدوٌّ الجسم .

٢ — إن من تصدَّى لحفظ مصالح الناس ، ذكرتْهُ الألسنُ بالمدح والذمّ ، فاجتهِد أن تكون ممدوحا فى ذاتك ، لا بحسب أغراض الناس .

٣ — وقال للمكتفى وقد قَرُب أَجَلُه : يا أمير المؤمنين ، قَرُب منك ما كنت تُبْعِدُه عن نفسك ، فلا تلتفت إلى ما بَعُد عنك ولا يعود إليك ، واشتغل بما قَرُب منك ولا يفارقُك .

---

(١) كذا فى الأصول . وجائز أن تكون : وصنعا .

٩

حُبَيْشُ بن الحَسَن الأَعْسم

كان أحدَ تلاميذ حُنين ، والناقلين من اليونانىّ والسُّريانىّ إلى العربىّ ، وكان حنين يعظمه ، ويرضَى نَقْلَه .

ومن كلامه :

١ — الكذبُ رأسُ كلِّ بليّة .

٢ — من ترك الحقدَ أدركَ معالىَ الأمور .

٣ — قد يكون القريبُ بعيداً بعداوته ، والبعيد قريباً بمودته .

٤ — من كرُمت نفسُه ، لم يكن إلّا بالحكمة أُنْسُه .

٥ — العافية نظامُ كلّ مأمول .

١٠

يَعْقُوبُ بن إسحاق الكندىّ

فيلسوف العرب ، وأحد أبناء ملوكها . كان أبوه إسحاق بن الصَّبَّاح أميرا على الكوفة للمهدىّ والرشيد . وكان الأشعث بن قيس ، وهو جدّه الخامس ، من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وكان قبل ذلك ملكا على جميع كِنْدة ، وكذلك كان أبوه قيس ملكا عليها أيضا ، وكذلك باقى أجداده كانوا ملوكا فى بلاد العرب .

نزل يعقوب بن إسحاق البَصْرة ، وانتقل إلى بَغداد ، وهناك تأدَّب . وكان عالما بالطبّ ، والفلسفة ، والمنطق ، وتأليف اللُّحون ، والهندسة ، والعَدد ، وعلم النجوم . ولم يكن فى الإسلام فيلسوف غيره [احْتَذَى فى تواليفه حَذْو أرِسْطُوطاليس] . وله تآليف كثيرة فى فنون العلم ، يزيد عددها على ثلاث مِئَة ؛ وترجم كثيرا من كتب الفلسفة ، وأوضح فيها المشكل . وكانت له منزلة عظيمة عند المأمون والمعتصم ، وكان أستاذاً لولده أحمد بن المعتصم . توفى سنة ٢٦٠هـ

ومن كلامه ، قال فى وصيته :

١ — لِيتقِّ الله تعالى المتطبِّب ، ولا يخاطِرْ ، فليس عن الأنْفُس عِوَض .

٢ — وقال : وكما يُحبّ أن يقال إنه كان سبب عافية العليل وبُرئه ، كذلك فليحذر أن يقال إنه كان سبب تَلَفه وموته .

٣ — العاقل يظن أن فوق علمه علما ، فهو أبدًا يتواضع لتلك الزيادة ، والجاهل يظن أنه قد تناهى ، فتمقتُه النفوس لذلك .

ومن كلامه مما أوصَى به لِولده[١] :

٤ — يا بُنَىّ ، الأبُ رَبّ ، والأخ فَخّ ، والعمّ غَمّ ، والخالُ وَبال ، والولد كَمَد ، والأقارب عَقارب ، وقول « لا » ، يصرف البَلا ، وقول « نَعَمْ » ، يزيل النِّعَم ، وسماع الغِناء بِرْسام[٢] حادّ ، لأن الإنسان

---

(١) كذا فى الأصل نقلا عن ابن أبى أصيبعة (١ : ٢٠٩) . والصواب حذف اللام ، لأن الكندى أوصى ابنه نفسه بهذه الوصية ، ووجود اللام يشعر بأنه أوصى غير ابنه من أجل ابنه .

(٢) البرسام عند قدامى الأطباء : ورم حار يعرض للحجاب الذى بين الكبد والأمعاء ، ثم يتصل إلى الدماغ . (عن تاج العروس) . شبه الغناء بالبرسام فى قوة تأثيره .

يسمع فيَطرَب ، ويُنفق فيُسْرِف ، فيفتقِر ، فيغتَمّ ، فيعتَلّ ، فيموت .
والدينارُ محموم ، فإن صرفته مات . والدرهم محبوس ، فإن أخرجته فرّ .
والناس سَحَرَة ، فَخُذْ نَبِيثَهم واحفظ نَبِيثَك[١] . ولا تقبل ممن قال اليمينَ
الفاجرة ، فإنها تدع الديار بلاقع .

٥ — اعتَزِلِ الشرّ ، فإنْ الشَرّ للشّرير[٢] خُلق .

٦ — مَن لم ينبَسط لحديثك ، فارفع عنه مَئونة الاستماع منك .

٧ — اعْصِ الهوى ، وأطِعْ من شئت ، ولا تغترّ بمال وإن كَثُر ،
ولا تطلب حاجةً[٣] إلى كَذوب ، فإنه يُبعِّدها وهي قريبة ، ولا إلى جاهل ،
فإنه يجعل حاجتك وقاية لحاجته .

٨ — لا تَنْجو مما تكره ، حتى تمتنع عن كثير مما تحبّ وتريد .

---

(١) وردت هذه العبارة فى « عيون الأنباء » لابن أبى أصيبعة ، المطبوع بالوهبية بالقاهرة سنة ١٨٨٢ هكذا : « والناس سخرة ، فخذ شيئهم ، واحفظ شيئك » . وفى نسخة مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية رقم ١٨٢ طب ص ١١٤ : « والناس سحرة ، فخدثهم واحفظ سبك » . وكلتا العبارتين محرفة . ولعل الصواب ما أثبتناه . والنبيث والنبيثة : أصلهما التراب الذى يستخرج من الأرض بالأيدى ؛ ويطلق مجازا على أسرار الناس وعيوبهم المستورة ؛ يقال : لا يزالون يتنابثون عن الأسرار ، وأبدى فلان نبيثة القوم ونبائثهم ، وظهرت نبائثهم ، ولم تخف خبائثهم » . والمراد من عبارة الكندى : أن الناس ذوو احتيال على استخراج الأسرار والمعايب ، فخذ منهم ما باحوا لك به من أسرار ، ولا تعطهم سرك

(٢) للشرير : كذا فى تاريخ حكماء الاسلام للبيهقى ص ٤١ وفى الأصل : للسر ، تحريف .

(٣) حاجة : كذا فى تاريخ حكماء الاسلام للبيهقى . وفى الأصل : الحاجة .

١١

أبو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقى

كان من الأطباء المذكورين ببغداد، ونقل كتبا كثيرة إلى العربية، من كتب الطب وغيره، وكان منقطعا إلى علىّ بن عيسى [١]، وقلده على بن عيسى رآسة البيمارستان الذى أنشأه بالحَرْبية ببغداد سنة ٣٠٢ هـ

ومن كلامه :

١ — الصبْر قوة من قُوَى العقل، وبِحَسَبِ قوة العقل تكون قوة الصبْر.

١٢

أبو الحسن على بن سَهْل بن رَبَن الطَّبرىّ

مولده بطَبَرسْتان، ومنشؤه بها أيضا، وكان بموضع من الأدب. وهو معلم الرازى صناعة الطب، أدخله المتوكل فى جملة ندمائه، وتفسير رَبَن [٢] : المعلِّم العظيم.

ومن كلامه :

١ — الطبيب الجاهل مُسْتَحِثّ الموت.

(١) هو الوزير : على بن عيسى بن داود بن الجراح، وزر للمقتدر العباسى ثلاث مرات، أولاها سنة ٣٠١ وأخراها سنة ٣١٤ هـ. (انظر تحفة الأمراء).

(٢) فى تاج العروس للزبيدى : وعلى بن ربن الطبرى — محركا — مؤلف كتاب الأمثال وغيره. هكذا ذكره الحافظ الذهبى. قال الحافظ بن حجر : هو من مشهورى الأطباء، تلمذ له محمد بن زكريا، وأبوه ربن الطبرى ذكر أنه كان يهوديا متميزاً فى الطب. قال : والربن : المتقدم فى شريعة اليهود. قال الحافظ رحمه الله تعالى : فعلى هذا هو بتشديد الموحدة.

٢ — السلامةُ غاية كُلِّ سُؤْل .

٣ — طول التجارب زيادة فى العقل .

٤ — التكلُّف يورث الَخسارة .

٥ — شرّ القول ما ينقض بعضُه بعضا .

١٣

أبو بكرٍ محمد بن زَكَريا الرَّازِىّ

مولده ومنشؤه بالرَّىّ ، وسافر إلى بغداد ، وأقام بها مدة ، وكان عمره وقت قدومه إلى بغداد نيفا وثلاثين سنة ؛ وكان من صغره مشتغلا بالعلوم العقلية ، وبعلم الأدب ، وبقول الشعر . وأما صناعة الطبّ فقد تعلمها وقد كبِر ، وكان معلمه فى ذلك علىّ بن رَبَنَ الطَّبَرىّ . وكان ذكيا فطنا ، رءوفا بالمرضَى ، مواظبا للنظر فى غوامض صناعة الطب ، وكذلك فى غيرها من العلوم . وكان أكثر مُقام الرازىّ ببلاد العجم ، لكونها موطنه ، وخدم بصناعة الطب الأكابر من ملوك العجم ، وصنف كتبا كثيرة ، فى الطب وفى غيره ، منها كتابه المنصورىّ ، للمنصور بن إسماعيل بن خاقان [(١)] ، صاحبِ خراسانَ وما وراء النهر . وله كذلك فى العلوم الحِكمية تصانيف كثيرة ، يستدل بها

(١) كذا فى الأصل نقلا عن ابن أبى أصيبعة . وقال ابن خلكان فى ترجمة الرازى : « ألفه لأبى صالح منصور بن نوح بن نصر بن إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان ، أحد الملوك السامانية » . وقال بعد ذلك : « ثم رأيت كتاب المنصورى ، وعلى ظهره أن المنصور الذى وسم الرازى هذا الكتاب باسمه هو : المنصور بن إسحق بن أحمد ابن نوح ، من ولد بهرام جور ، صاحب كرمان وخراسان ، وكنيته : أبو صالح » .

على ارتفاع منزلته ، وكان الرازىّ معاصرا لإسحاق بن حُنَين ؛ وتُوُفِّىَ الرازى فى سنة ٣٢٠ هـ[1]

ومن كلامه :

١ — الحقيقة فى الطبّ غاية لا تُدْرَك ، والعلاج بما تنصّه الكتب دون إعمال الماهر الحكيم برأيه[2] خَطَر.

٢ — الاستكثار من قراءة كتب الحكماء ، والإشراف على أسرارهم ، نافع لكل حكيم عظيم الخَطَر[3].

٣ — العُمْر يَقصُر عن الوقوف على فعل كلّ نبات فى الأرض ، فعليك بالأشهر ، مما أُجمع عليه ، ودَعِ الشاذّ ، واقتصر على ما جَرَّبت .

٤ — مَنْ لم يُعْنَ بالأُمور الطبيعية ، والعلوم الفلسفية ، والقوانين المنطقية ، وعدل إلى اللذات الدنيائية[4] ، فاتَّهِمْهُ فى علمه ، لا سيَّما فى صناعة الطب .

---

(١) ليس تاريخ وفاة الرازى محققا عند العلماء ، ففى القفطى رواية أخرى ، أنه عاش إلى سنة ٣٦٤ وأنه اتصل بابن العميد . وفى نكت الهميان للصفدى أنه توفى سنة ٣١٠ ، ولم يذكر ابن خلكان تاريخ وفاته .

(٢) برأيه : كذا فى الأصل ، نقلا عن ابن أبى أصيبعة ص٣١٤ ؛ ويقال فى اللغة : أعمل فلان رأيه ، وعمل برأيه ، فلعله ضمن أعمل معنى عمل ، فعداه بالباء .

(٣) الخطر : القدر والمنزلة .

(٤) كذا فى الأصل نقلا عن ابن أبى أصيبعة ص ٣١٤ والنسبة إلى الدنيا . دنيى ، ودنيوى ، ودنياوى ، على ما هو معلوم فى التصريف .

٥ — متى اجتمع جالينوس وأرسطوطاليس على معنى ، فذلك هو الصواب ؛ ومتى اختلفا صعب على العقول إدراك صوابه جدًّا .

٦ — الأَمراض الحارة أقتل من الباردة ، لسرعة حركة النار .

٧ — الناقِهون من المرض إذا اشتَهَوا من الطعام ما يضرهم ، فيجب للطبيب أن يحتال فى تدبير ذلك الطعام ، وصرفه إِلى كيفية موافقة ، ولا يمنعهم ما يشتهون بَتَّة .

٨ — ينبغى للطبيب أن يُوهِم المريض أبدا الصِّحة ، ويرجِّيه بها ، وإِن كان غير واثق بذلك ، فمِزاج الجسم تابع لأخلاق[1] النفس .

٩ — الأطباء الأُمِّيُّون والمقلِّدون ، والأحداث الذين لا تجربة لهم ، ومن قلت عِنايته وكثرت شَهَواته : قتَّالُون .

١٠ — ينبغى للطبيب ألَّا يَدَعَ مُسَاءَلة المريض عن كل ما يمكن أن تتولَّد عنه عِلّته ، من داخل ومن خارج ، ثم يَقضِى بالأقوى .

١١ — ينبغى للمريض أن يقتصر على واحد ممن يُوثَق به من الأطباء ، فخطؤه فى جنب صوابه يسير جدا .

١٢ — من تَطَبَّب عند كثير من الأطباء ، يُوشِكْ أن يقع فى خَطَأ كل واحد منهم .

---

(١) معنى الأخلاق هنا : أحوال النفس : من خوف وأمن ، وفرح وحزن ... الخ .

١٣ — متى كان اقتصار الطبيب على التجارب ، دون القِياس وقراءة الكتب ، خُذِل .

١٤ — لا ينبغى أن يُوثَقَ بالحسَن العناية فى الطبّ ، حتى يبلغ الأشُدَّ ويُجرِّب .

١٥ — ينبغى أن تكون حالة الطبيب معتدلة ، لا مقبلا على الدنيا كُلِّية ، ولا معرضا عن الآخرة كُلِّية ، فيكون بين الرَّغبة والرَّهبة .

١٦ — بانتقال الكواكب الثابتة فى الطول والعرض ، تنتقل الأخلاق والمزاجات[١] .

١٧ — باختلاف عُروض البلد تختلف المِزاجات[١] والأخلاق ، والعادات ، وطبائع الأدوية والأغذية ، حتى يكون ما فى الدرجة الثانية من الأدوية ، فى الرابعة ، وما فى الرابعة فى الثانية .

١٨ — إِن استطاع الحكيم أن يعالج بالأغذية دون الأَدْوية ، فقد وافق السعادة .

١٩ — ما اجتمع الأطباء عليه ، وشهد عليه القِياس ، وعَضَدَته التجرِبة ، فليكن إِمامك ، وبالضدّ .

٢٠ — السُّموم ثلاثة : أكل الشِّواء المَغْمُوم[٢] ، واللبَن الفاسد ، والسمك المنتن .

٢١ — الطب : حفظ الصحة ، ومَرَمَّةُ العِلّة .

(١) جمع المزاج أمزجة . ويجوز بعض اللغويين جمع ما لا يعقل من الأسماء مثل منزل ومزاج ، جمع مؤنث بالألف والتاء . حكاه صاحب المصباح عن ابن الأنبارى فى (بنو) .
(٢) المغموم : الذى يغطى وهو سخن ، فتتغير رائحته وينتن .

١٤

إسحاق بن سُلَيمان الإسرائيلِيّ

كان طبيبا فاضلا بليغا ، مشهورا بالمعرفة ، جيد التصنيف . وانتشرت معرفته بالإسرائيليّ ، ويكنى أبا يعقوب . وهو من أهل مصر ، وخدم عُبيدَ الله المهدىّ صاحب إفريقية بصناعة الطبّ ، وعُمِّر عُمرا طويلا .

ومن كلامه :

١ — منْ تناوُل الطِّين تَسْدَرُ العين ، ويصفرّ اللونُ ، ويَبْخَر الفَم ، وتَحْفَرَ الأسنان (١) .

٢ — عجبتُ لمن اقتصد فى أكل الخبز الحِنطِىّ ، واللحم الحَوْلىّ ، واحترز (٢) من الهواء الوَبِىّ ، والماء الردىّ ، كيف يَمْرَض !

١٥

شاناق

من أطباء الهند ، كانت له معالجات وتجارب كثيرة فى صناعة الطب ، وتفنن فى العلوم وفى الحكمة .

---

(١) سدرت العين : تحيرت ، فلم تحسن الابصار . والحفر فى الأسنان : صفرة تعلوها ، أو تقشر فى أصولها . والطين الذى ذكره هو الطين النيسابورى ، أو الأرمنى يؤكل ويتنقل به على الشراب ، انظر الجامع لابن البيطار (٣ : ١١٢) .

(٢) احترز من : كذا فى تاريخ حكماء الاسلام للبيهقى طبعة دمشق ص ٢٣ ؛ وفى الأصل : احترس .

ومن كلامه من كتابه « مُنْتَحَل الجوهر » ، قال :

يأَيها الوالى ، اتَّقِ عَثرات الزمان ، واُخشَ تسلُّط الأَيام ، ولَوعة غَلَبة الدَّهر . واعلم أن للأَعمال جزاء ، فاتَّق عواقبَ الدهر والأَيام ، فإِن لها غدَرات ، فكن منها على حذر . والأَقدار مُغَيَّبات ، فاستعِدّ لها ، والزمان متقلِّب ، فاحذر دَوْلته ، لئيمُ الكرّة ، نَخفْ سَطوته ، سريع الغِرَّة ، فلا تأمن دولته . واعلم أن من لم يداو نفسه من سَقام الآثام فى أيام حياته ، فما أبعده من الشفاء فى دار لا دواء لها ؛ ومن أذلَّ حواسّه ، واستعبدها فيما تقدَّم من خير لنفسه ، أبان فضله ، وأظهر نبله ؛ ومن لم يضبط نفسه وهى واحدة ، لم يضبط حواسّه وهى خمس ؛ فإِذا لم يضبط حواسَّه مع قِلتها وذلتها ، صعُب عليه ضبط الأَعوان مع كثرتهم ، وخشونة جانبهم ، فكانت عامة الرَّعية فى أقاصى البلاد ، وأطراف المملكة ، أبعدَ من الضبط .

١٦

الحكيم دانيال [١] الطبيب

كان طبيبا لمعز الدولة بن بويه ، وقد أصاب معزّ الدولة فَلْج بسابُور خُوَاسْت [٢] ، فعالجه دانيال وصحّ ؛ فبعد ذلك بثلاث سنين عَرَا معز الدولة

(١) فى ابن أبى أصيبعة (١ : ٢٣٧) ، وفى تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقى طبعة دمشق ص ٨١ : دانيال . وفى طبعة لاهور : ديان . وقد اعتمد المؤلف على هذه الطبعة ، فرسم الكلمة فى الترجمة « ديان » ، وقد رسمناها نحن فى جميع مواضعها « دانيال » ، موافقة لابن أبى أصيبعة .

(٢) بلدة بين خوزستان وأصبهان .

سَرْسام[1] حادّ ، فقال له الحَمقى من الأطباء : هذه تأثيرات الأدوية الحارة التى عالجك بها دانيال ، دفعا للفالج ، فقبل المعز ذلك الكلام ، وغضب على دانيال ، ولم يكن فى حضرة المعز عالم منصف ، فصار دانيال بسبب ذلك منكوبا .

ومن كلامه :

١ — إِذا سُئِلَ غيرُك فلا تُجِب ، فإِن ذلك استخفافٌ بالسائل والمسئول .

٢ — لكل إِنسان أَليفٌ قد أَنِسَ به ، فلا يُطْمَعْ فى أن يُفرَّق بينهما .

٣ — من شرع فى أمرٍ بسبب حرصه بلا آلة وعِلْم ، فقد لَبِسَ لباسَ الغُرور .

٤ — من خدمَ السلطانَ ، قاسَى فى ساعةٍ واحدةٍ من الأَذى والخوف ، ما لا يقاسيه غيره فى زمان طويل .

٥ — إِذا جاء المرض من قِبَل الدواء النافع وجِهَتِه ، عَجَزَ الطبيب .

---

(١) السرسام ، بفتح السين ، لفظة فارسية ، معناها ورم الرأس الحار . (انظر تذكرة داود ج ٣ ص ٥٠).

١٧

أبو الخير الحسن بن سَوّار بن بابا الطبيب بن بَهنام

المعروف بابن الخَمَّار ، نسبة إلى ناحية يقال لها خَمار[١]

كان بغدادى المولد ، ومولده فى شهر ربيع الأول سنة ٣٣١هـ . قرأ الحكمة على يحيى بن عَدِىّ ، وكان عالما بأصول صناعة الطب وفروعها ، وقد حُمِل إلى خُوارزمشاه ، ولما استولى السلطان محمود بن سُبُكْتكين على خُوارِزم ، حمله إلى غَزْنة ، وكان نصرانيا ، ثم أسلم ، وتعلم الفقه ، وحفظ القرآن ، وكان ينقل من السُّرْيانىّ إلى العربىّ ، وقد نقل كتبا كثيرة . وقيل لأبى الخير بُقراط الثانى .

ومن كلامه :

١ — أحسنُ القول ما وافقَ الحقّ .

٢ — من طلب ما فى أيدى الناس حقَروه ، ومن صنع خيراً أو شرًّا فبنفسه ابتدأ .

٣ — المتمسّك بالغُرور ، كالمقتبس من ضوء البرق الخاطف .

---

(١) عرف أبو الخير بابن الخمار ، كما فى ابن أبى أصيبعة (١ : ٣٢٢) ، والقفطى (ص ١١٣ مصر) . والخمار : المنسوب إلى بيع الخمر . ويظهر أن هذا تساهل من المترجمين لأبى الخير ، يدفعه قول ظهير الدين البيهقى فى (تاريخ حكماء الاسلام . ص٢٧ طبعة دمشق بتحقيق الأستاذ الكبير محمد كرد على بك) : « وقد أفرد السلطان محمود للحكيم أبى الخير ناحية يقال [لها] ناحية خمار ، ونسب أبو الخبر إلى تلك الناحية ، وقيل له أبو الخير الخمار » . و« خمار » التى ذكرها البيهقى : بلدة بنواحى غزنة من بلاد السند ، ولم يذكرها ياقوت فى المعجم . ولكن النسبة التى زعمها البيهقى ، ليست بياء النسب ، وليست اللفظة مشددة الميم ، ولا فيها رائحة النسبة المعهودة فى اللسان العربى ؛ وكان مقتضى النسبة أن يقال : « الخمارى » أو « نزيل خمار » أو نحو ذلك .

١٨

الفارابى

أبو نصر محمد بن محمد بن أُوْزَلَغ بن طَرْخان . ولد بمدينة فارابَ من خُراسان[١] ، وهو فارسىّ المنتسَب ، كان أبوه قائد جيش ، وكان أبو نصر فى أول أمره ناطورا[٢] فى بستان بدمشق ، وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة ، والنظر فيها ؛ وكان ضعيف الحال ، فكان فى الليل يسهر للمطالعة والتأليف ، ويستضىء بالقِنديل الذى للحارس . وبقى كذلك مدة ، حتى عظم شأنه ، وظهر فضله ، واشتهرت تصانيفه ، وكثرت تلاميذه ، وصار أوحد زمانه ، وعلّامة وقته ، فيلسوفا كاملا ، وإماما فاضلا ، أتقن العلوم الحِكْمية ، وبرع فى العلوم الرياضية ، متجنبا عن الدنيا ، مقتنعا منها بما يقوم بأَوَدِه[٣] ، وكانت له قوة فى صناعة الطب ، وعلم بالأمور الكلية منها . ولم يباشر أعمالها . واجتمع به الأمير سيف الدولة أبو الحسن على بن عبد الله بن حَمْدان التَّغْلَبىّ[٤] ، وأكرمه إكراما كثيرا ، وعظمت منزلته عنده ، وكان له مُؤْثِرا .

---

(١) فاراب ، كساباط : ناحية وراء نهر سيحون ، فى تخوم بلاد الترك (عن تاج العروس) ، وهى غير فارياب ، من بلاد خراسان .

(٢) الناطور ، بالطاء : حافظ الكرم والنخل والزرع . قال ابن الأعرابى : النطرة : الحفظ بالعينين ، بالطاء . قال : ومنه أخذ الناطور . قال الصاغانى وقد نطر ينطر . وفى الأساس عن ابن دريد : هو بالظاء من النظر ، لكن النبط يقلبونها طاء (انظر تاج العروس) .

(٣) يقوم بأوده : كذا فى الأصل ، نقلا عن ابن أبى أصيبعة (ج ٢ ص ١٣٤) والمعروف فى اللغة : يقيم الأود ، والأود : العوج فى الشىء ، كأنهم يعنون : يقيم صلب الانسان ، لأن الانسان إذا جاع تأود صلبه ، أى انحنى .

(٤) لقيه بمدينة دمشق ، كما فى وفيات الأعيان لابن خلكان ، فى ترجمة الفارابى .

سافر أبو نصر إلى مصر سنة ٣٣٨ هـ ، ورجع إلى دمشق ، وتوفى بها فى رجب سنة ٣٣٩ عند سيف الدولة بن حَمْدان ، فى خلافة الراضى ، ولم يكن يتناول من سيف الدولة سوى أربعة دراهم فضة فى اليوم ، يخرجها فيما يحتاج إليه من ضرورىّ عيشه ، ولم يكن معتنيا بهَيْئة ولا منزلٍ ولا مَكْسَب ، ووصل فى علم صناعة الموسيقى إلى الغاية ، وأتقنها إتقانا لا مزيد عليه ، ويُذكَر أنه وضع آلة غريبة ، يسمع منها ألحانا يحرك بها الانفعالات ، وكتبه ومؤلفاته كثيرة ، وهى من الجودة بالغة الغاية .

ولأبى نصر الفارابىّ الدعاء الآتى :

١ — اللهم إنى أسألك يا واجب الوجود ، ويا عِلَّة العِلل ، يا قديما لم يَزَل ، أن تعصمنى من الزلَل ، وأن تجعل لى من الأمل ، ما ترضاه لى من عمل . اللهم امنحنى ما اجتمع من المناقب ، وارزقنى فى أمورى حسن العواقب ، نجِّح مقاصدى والمطالب ، يا إله المشارق والمغارب .

رَبَّ الجَوَارِ[1] الكُنَّسِ السَّبْعِ الَّتى انْبَجَسَتْ عَنِ الكَوْنِ انْبِجَاسَ الأَبْهَرِ[2]

---

(١) الجوار : أصله : الجوارى ، جمع جار أو جارية ، حذفت الياء من الجمع تخفيفا والمراد بها الكواكب السيارة . والكنس : التى تغيب ، شبهوها بالظباء التى تستتر فى كنسها ، جمع كناس ، وهى بيوتها فى أصول الشجر . وفى عدد الكواكب السيارة خلاف بين علماء الفلك القدامى ، فقيل خمسة ، وقيل سبعة على المشهور . وعند المحدثين هى أكثر من ذلك .

(٢) المراد بالأبهر المجرى الأكبر للدم فى الجسم . قال ابن الأثير : الأبهر : عرق منشؤه من الرأس ، ويمتد إلى القدم ، وله شرايين تتصل بأكثر الأطراف والبدن . ويريد الفارابى أن السيارات خرجت من مادة الكون ، كما يندفع الدم من الأوردة والشرايين ، فالكلام على حذف مضاف ، أى كما ينبجس دم الأبهر .

هُنّ الفواعِلُ عن مشيئتهِ [١] التى عَمَّتْ فضائلُها جميعَ الجوهرِ
أصبحتُ أرجو الخيرَ منكَ وأمترى [٢] زُحلاً [٣] ونفسَ عُطاردٍ والمشترى

اللهم ألبسنى حُلَل البهاء ، وكرامات الأنبياء ، وسعادة الأغنياء ، وعلوم الحكماء ، وخشوع الأتقياء . اللهم أنقذنى من عالم الشقاء والفناء ، واجعلنى من إخوان الصفاء ، وأصحاب الوفاء ، وسكان السماء ، مع الصِّدِّيقين والشُّهَداء ، أنت الله الذى لا إله إلا أنت ، علةُ الأشياء ، ونور الأرض والسماء ، امنحنى فيضا من العقل الفعال ، ياذا الجلال والإفضال ، هذب نفسى بأنوار الحكمة ، وأوزِعنى [٤] شكر ما أوليتنى من نعمة . أرِنى الحق حقًّا وألهمنى اتباعه ، والباطل باطلا واحرمنى اعتقادَه واستماعه ، هذِّب نفسى من طينة الهَيُولَى ، إنك أنت العلة الأولَى .

---

(١) عن مشيئته : كذا فى الأصل وابن أبى أصيبعة (٢ : ١٣٦) وحقه أن يقول : عن مشيئتك ، بالخطاب لله ، ولعله التفات أو تحريف . يريد أن السيارات مؤثرة فى العالم الأرضى ، عن مشيئة الله وإرادته . ونسبة التأثير إلى السيارات : رأى فى الفلسفة القديمة .

(٢) أصل الامتراء فى اللغة : مسح ضرع الناقة لتدر . والواو فى أمترى للحال . يريد الفارابى : إننى أرجو الخير منك يارب ، إن طلبت معرفة تأثير الكواكب ، لأنها مؤثرة بمشيئتك ، لا بذواتها . وقد جاءت هذه الأبيات الثلاثة فى ابن أبى أصيبعة مكتوبة كالنثر .

(٣) زحلا : كذا فى الأصل عن ابن أبى أصيبعة . والمعروف فى اللغة أنه ممنوع من الصرف ، كما فى القاموس . وقد صرفه لضرورة الشعر .

(٤) أوزعنى : ألهمنى .

يا علةَ الاشياء جمعًا والذى كانت به عن فيضه المتفجّرِ
ربَّ السماوات الطّباق ومركزٍ فى وَسْطِهن من الثَّرى والأَبْحُرِ
إِنى دعوتك مستجيرا مذنبًا فاغفر خطيئة مذنبٍ ومقصرِ
هذّب بفيضٍ منك ربَّ الكل من كدر الطبيعة والعناصر عُنصرِى

اللهم رَبَّ الأَشخاص العُلوية ، والأَجْرام الفلكية ، والأَرواح السماوية ، غلَبتْ على عبدك الشهوات البشريّة ، وحب الشهوات والدنيا الدَّنيّة ، فاجعل عصمتك مِجَنِّى من التخليط ، وتقواك حصنى من التفريط ، إِنك بكل شىء محيط .

اللهم أنقذنى من أسْر الطبائع الأَربع، وانقلنى إِلى جنابك الأَوسع ، وجوارك الأَرفع . اللهم اجعل الكفاية سببا لقطع مذموم العلائق ، التى بينى و بين الأَجسام التُّرابية ، والهموم الكونية ، واجعل الحكمة سببًا لاتحاد نفسى بالعوالم الإِلهية ، والأَرواح السماوية . اللهم طهر بروح القدْس الشريفة نفسى ، وأنِرْ(١) بالحكمة البالغة عقلى وحِسِّى ، واجعل الملائكة بدلا من عالم الطبيعة أنْسِى . اللهم ألهمنى الهُدَى ، وثبت إِيمانى بالتقوى ، وبَغِّض إِلى نفْسى حبَّ الدنيا .

اللهم قوِّ ذاتى على قهر الشهوات الفانية ، وألحق نفسى بمنازل النفوس الباقية ، واجعلها من جملة الجواهر الشريفة الغالية ، فى جنات

(١) فى الأصل نقلا عن ابن أبى أصيبعة (٢ : ١٣٧) : أثر : تحريف .

عالية . سبحانك اللهم سابقَ الموجودات ، التى تنطق بألْسنة الحال والمقال ، إنك المعطِى كل شىء منها ما هو مستحقه بالحكمة ، وجاعل الوجود لها بالقياس إلى عدمها نعمة ورحمة ، فالذوات منها والأعراض مستحقة بآلائك ، شاكرة فضائل نعمائك : « وإن من شىء إلا يُسَبِّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » . سبحانك اللهم وتعاليت ، إنك الله الأَوحد ، الفَرْد الصَّمَد ، الذى « لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ، ولم يكن له كُفُوًا أحد » .

اللهم إنك قد سجنت نفسى فى سجن من العناصر الأربعة ، ووكَّلْت بافتراسها سِباعًا من الشهوات ، اللهم جُدْ لها بالعِصمة ، وتعطف عليها بالرحمة ، التى هى بك أليق ، وبالكرم الفائض الذى هو منك أجدرُ وأَخْلَق ، وامنُنْ عليها بالتوبة العائدة بها إلى عالمها السماوىّ ، وعجل لها بالأَوبة ، إلى مقامها القُدْسىّ ، وأطلِع على ظلماتها شمسًا من العقل الفعال ، وأَمِطْ عنها ظلمات الجهل والضلال ، واجعل ما فى قواها بالقوة كامنا بالفعل ، وأخرجها من ظلمات الجهل ، إلى نور الحكمة وضياء العقل : « الله وَلِىّ الذين آمنوا ، يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظلمات إِلى النور » . اللهم أرِ نفسى صُوَر الغيوب الصالحة فى منامها ، وبدّلها من الأَضغاث رُؤيا[1] الخيْرات ، والبشرى الصادقة فى أحلامها ، وطهرها من الأَوساخ التى تأثرت بها

(١) الأضغاث : جمع ضغث . والمراد : الأحلام المختلطة غير الواضحة . وفى ابن أبى أصيبعة : برؤيا ، فى مكان : رؤيا . تحريف .

عن محسوساتها وأوهامها ، وأمِط عنها كَدَر الطبيعة ، وأنزلها فى عالم النفوس المنزلة الرفيعة .

الله الذى هدانى ، وكفانى ، وآوانى .

٢ — وقال أبو نصر الفارابىّ :

ينبغى لمن أراد الشروع فى علم الحكمة ، أن يكون شابًّا صحيح المِزاج ، متأدبا بآداب الأخيار ، قد تعلَّم القرآن واللغة وعلم الشرع أولا ، ويكون صائنا [1] عفيفا ، متحرِّجا صَدوقا ، مُعْرِضا عن الفسق والفجور ، والغَدْر والخيانة ، والمكر والحيلة ، ويكون فارغ البال عن مصالح مَعاشه ، ويكون مقبلا على أداء الوظائف الشرعية ، غير مُخِلّ بركن من أركان الشريعة ، بل غير مخلّ بأدب من آداب السُّنَّة ، ويكون معظِّما للعلم والعلماء ، ولم يكن عنده لشىء قدْرٌ إلَّا للعلم وأهله ، ولا يتخذ علمَه من جُملة الحِرَف والمكاسب ، وآلة لكسب الأموال ؛ ومن كان بخلاف ذلك فهو حكيمٌ زورٌ ونَبَهْرَج [2] ؛ فكما أن الزُّور لا يُعَدُّ من الكلام الرّصين ، ولا النَّبَهْرَجُ من النقود ، فكذلك من كانت أخلاقه خلاف ما ذكرنا ، لا يُعَدُّ من جملة الحكماء .

---

(١) صائنا : كذا فى الأصل ، نقلا عن « تتمة صوان الحكمة لظهير الدين البيهقى ، طبعة لاهور » . وفى طبعة دمشق لهذا الكتاب باسم « تاريخ حكماء الاسلام ص ٣٤ » : صينا ، وهى أجود . قال فى المصباح المنير : يقال : صان الرجل عرضه عن الدنس ، فهو صين .

(٢) النبهرج والبهرج : الزيف الردىء ، تعريب نبهره .

٣ — من لا يهذبْ علمُه أخلاقَه فى الدنيا ، لا تَسْعَدْ نَفسُهُ فى الآخرة .

٤ — تمام السعادة بمكارم الأخلاق ، كما أن تمام الشجرة بالثمرة .

٥ — من رَفَعَ نَفسُهُ فوق قدرها ، صارت نفسهُ محجوبةً عن نيل كمالها .

١٩

أبو الحسن البِسْطامى (١)

من كلامه :

١ — الأكل على الشِّبَع داء ، والشرب على الجوع ردىء .

٢ — راحة الجسم فى قلّةِ الطعام ، وراحة الروح فى قلّةِ الكلام ، وراحة العقل فى قلة الاهتمام .

٣ — اجتنب ثلاثة ، وعليك بأربعة . اجتنب الغُبار ، والنَّتْن ، والدُّخان . وعليك بالُحلْو ، والدَّسَم ، والحمّام ، والطِّيب ، مع الاقتصاد .

٤ — عمى العقل داء لا دواء له .

(١) فى تاج العروس : « أبو الحسن على بن أحمد بن يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ابن محمد بن بسطام ، البسطامى النهروانى ، روى عنه أبو بكر الخطيب . توفى سنة أربع مئة وسبع عشرة » . وظاهر أن هذا من المحدثين ، فهل كان من الأطباء أيضا ؟ لاندرى .

٢٠

إسحاق بن قُرَيش (١)

من كلامه قال :

١ — لاَسَوائَه أَكلُ يَوْم يَمْنعك أَكْلَ حَوْل ، وصبرُ يوم يسوق إليك أَكْل حَوْل .

٢ — خير الطعام أنظفه وأخفه وأَمْرَؤُه .

٢١

الحكيم ابن سَيّار الطبيب (٢)

كان حكيما طبيبا ، وكان يعالج أصحاب الحُمّيات معالجة شافية ، وله تصانيف فى الحكمة والطبّ .

ومن كلماته :

١ — لايُرْجَى نَيْلُ معالِى الأمور بكثرة الأعوان ، لكن بصُلَحاء الأعوان .

(١) لم نجد له ترجمة فى كتب الأطباء .

(٢) لم نجد له ترجمة فى « تاريخ حكماء الاسلام » للبيهقى . ولا فى « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » للقفطى . ولا فى « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » لابن أبى أصيبعة . والمذكور فى هذا الأخير (١ : ٢٣٦) هو : « أبو ماهر موسى ابن يوسف بن سيار ، من الأطباء المشهورين بالحذق وجودة المعرفة بصناعة الطب » . ولم يذكر من كلامه شيئا . ولا ندرى أهو المقصود أم غيره .

٢ — أعوذ بالله من صديق يُحْسِنُ القول ، ولا يحسن العمل .

٣ — إذا باعَدَتْ[١] صديقك ولاية ، فاعلم أن أخلاقه تبدّلت ، فإن الأخلاق تستحيل[٢] فى الولاية .

٤ — المحاسن إذا قويت انهزمت المساوئ .

٥ — الولاية تَبْسُطُ اللسانَ بالغِلْظَة ، فلا تَغْضَبَنَّ مِنْ شَتْمِ الوالى .

٦ — اذكر دائما تلوّن الأحوال .

٢٢

أبو الحسن بن زَهْرون الحرّانِىّ[٣]

طبيب ماهر ، وحكيم متفلسف . والغالب عليه علم الرياضة وعلم الطب .

قال :

١ — إصابة الرأى حِلْيَة الملوك .

٢ — عليك فى مشورتك بالخبير العالم غير الحسود ، فإن الجبان يُضَيِّق الأمور ، والبخيل يُقَصِّر فى طلب الغايات ، والحريص يطلب الأمور من غير استكمال الآلات والأسباب .

---

(١) كذا فى « تاريخ حكماء الاسلام للبيهقى ص ٨٠ » . وفى الأصل نقلا عن « تتمة صوان الحكمة طبعة لاهور » : ساعدت .

(٢) أى تتحول وتتغير .

(٣) هو ثابت بن إبراهيم بن زهرون . كان طبيبا حاذقا مصيبا . وكان ضنينا بما يحسن . ولد أبو الحسن سنة ٢٨٣ وتوفى سنة ٣٦٩ (انظر الفهرست لابن النديم ، طبعة مصر ، ص ٤٢١) و (إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ، ص ٧٨) .

٣ — المستشار اللبيب كالطبيب العالم ، الذى إن رأى ظاهر حال المريض : فى عرَقه ، وتَفْسِرته[١] ، ولونه ، اطَّلع من باطن أمره على مالا يطَّلع عليه المريض من نفسه ، ثم عالجه على حسب ذلك .

٢٣

العمانى الطبيب[٢]

كان أبو الخير أثنى على العمانى ، وقال : هو أقوى أهل زمانه فى صناعته .

ومن كلامه :

١ — يجب على المرء أن يُوَكِّل معه كالِئَين[٣] : أحدهما يَكْلَؤُه من أمامه ، والآخر من ورائه ، وهما عقله وأخوه الناصح .

٢ — ما ينفعك فى ذاتك فاطلبه ، وإِن لم يكن فيه افتخار ، وما يضرك فى الدنيا والآخرة فاتركه ، وإن كان به افتخار .

٣ — من استبدّ بمعالجته فى حال مرضه ، وإن كان طبيبا حاذقا ، فقد يُعَرِّض للخطأ بجهده ، والاستشارة أداةٌ كاملة .

---

(١) الفسر والتفسرة : نظر الطبيب إلى البول . وقيل التفسرة : اسم للبول الذى ينظر فيه الأطباء ، يستدلون بلونه على علة العليل . ولمؤلف هذا الكتاب المرحوم الدكتور أحمد عيسى بك كتاب اسمه « التفسرة عن أحوال البول » .

(٢) لم نجد للعمانى ترجمة فى كتب الأطباء .

(٣) كالئين : حارسين وحافظين .

٢٤

أبو سَهْل النِّيْلى النَّيسابُورِىّ

هو بكر[١] بن عبد العزيز النِّيلىّ ، كان حكيما فاضلا ، الغالب عليه علم الطبّ ، وقد شرح مسائل حُنين فى مجلدات مبسوطة ، وكان نَيسابورىّ المولد والمنشأ ، عارفاً بأجزاء علوم المعقولات ، ماهرا فى المعالجات .

ومن أشعاره قوله :

قد رُضْتُ باليأْس نفسى فِعلَ اللَّبيب الحكيمِ
أقنعتها بكَفاف وفيه كلُّ النعيمِ
فما يدٌ لكريمٍ عندى ولا للئيمِ

وقوله :

يا من تكلَّف إخفاء الهوى جَلَدًا إن التكلّف يأبى دونَه الكَلَفُ
وللمحبّ لسان من ضمائره بما يُجِنّ من الأهواء يعترفُ

ومن كلماته قوله :

١ — الصدق دِعامة العقل .

٢ — الصدق أمانة .

---

(١) بكر : كذا فى الأصل ، عن « تاريخ حكماء الاسلام للبيهقى » . وفى ابن أبى أصيبعة (١ : ٢٥٣) : سعيد .

٣ — لاخير فى قول لايصدِّقه فعل .

٤ — من لا يعرف من مبدأ المرض كيفية البَحَارِين [١] ، فليس بطبيب .

٥ — الطبيب لايكذب ، لأن الكذبَ خيانة ، والطبيب عن الخيانة بمعزل .

٢٥

عبد الله الأُرْمَوِىّ [٢]

كان طبيبا ببغداد ، حسن الآداب ، حلو الشمائل .

ومن قوله :

١ — يزيد فى طِيب الطعام ، مؤاكلةُ الكريم .

٢ — الحاجةُ مع المحبَّة ، خير من الغِنى مع العَدَاوة .

٣ — حفظ العلوم كإلقاء البذور ، والتفكر فى معانيها كالسقّى .

(١) البحارين : جمع بحران ، بضم الحاء ، وهو عند الأطباء : التغير الذى يحدث للعليل دفعة فى الأمراض الحادة . وهى لفظة يونانية . وهذا الجمع مما ورد فى كتب الأطباء ، ولم يرد فى اللغة . (انظر تاج العروس) .

(٢) الأرموى : نسبة إلى أرمية ، بالضم ، وكسر الميم ، وتخفيف الياء أو تشديدها : وهى بلد عظيم بأذربيجان . والنسبة إليها : أرموى ، وأرمجى .

٢٦

أبو سَهْل عيسى بن يحيى الجُرجانى

طبيب بارع فى صناعة الطب ، فصيح العبارة ، جيد التصنيف ، متقن للعربية . ومولد أبى سهل بجُرجان ، ونشأ وتعلم ببغداد ، وقد ارتبطه[١] خُوارِزم شاه : مأمون بن محمد . وهو معلم الشيخ الرئيس ابن سينا صناعة الطب . مات وله من العمر أربعون سنة .

ومن كلامه قال :

١ — نَومة بالنهار بعد أكلة ، خير من شربة دواء نافع .

٢ — أكرمُ الناس من له حَسَبٌ يُعينه على الشَّرف ، وجودٌ يعينه على المكارم ، ونَجْدة تعينه على العِزّ .

٣ — خيرُ العاقل مرجوٌّ على كل حال ، وشرّ الجاهل مَخُوف على كل حال .

٤ — العاقل يَعُدّ نفسه فريدا[٢] من تخليط أهل زمانه .

٥ — إنسانٌ لاعقل له ولا عِلْم ، كتمثال لاروح له .

٦ — من [لم][٣] يرضَ بما عنده من أسباب المعاش ، لم يرض بإضافة مال غيره إلى ماله ، فإن غريزة الإنسان لاتشبع .

---

(١) ارتبطه : اتخذه طبيبا خاصا .

(٢) فريدا : بعيدا .

(٣) لم : زيادة عن « تاريخ حكماء الاسلام طبع دمشق ص ٩٦ » ، وبها يستقيم المعنى .

٢٧

أبو الحسن بن بَكُّس[١] البغدادىّ الضرير

كان حكيما فاضلا ، وكان مكفوفا ، يقوده تلميذه إلى ديار المرضى .

ومن كلامه :

الحِمْية فى النهاية ليست بمحمودة . والطَّرَفان من الإِجحاف والإِسراف مذمومان ، والواسطة[٢] أسلم .

٢٨

أبو الحسن الضَّمِيرىّ[٣]

كان حكيما معروفا فى زمانه .

ومن كلامه :

١ — الحِمْية فى العِلَّة : هى الزِّمام لاقتناء[٤] الصحة .

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى ابن أبى أصيبعة (١ : ٢٠٥ ، ٣١٠) . وفى « إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى طبع مصر ، ص ١٥٨ » : بكش بالشين . وفى « تاريخ حكماء الاسلام للبيهقى ص ٢٥ » : تـكين . وفى هامشه : لعلها مكين . واسمه الكامل فى ابن أبى أصيبعة : أبو الحسن على بن إبراهيم بن بكس . وذكر المؤلف فى « تاريخ النبات عند العرب » إبراهيم بن بكوس والد أبى الحسن ، وكتبه بواو بعد الكاف ، كما كتبه ابن أبى أصيبعة فى بعض المواضع . توفى أبو الحسن بن بكس سنة ٣٩٤ هـ .

(٢) واسطة العقد : الجوهرة الفاخرة تجعل فى وسطه . والمراد بالواسطة فى كلام المترجم : الحالة المتوسطة بين طرفى الاجحاف والاسراف . وهذه صفة لا اسم ، وهى صحيحة (انظر كلام سيبويه فى تفسير لفظ واسط ، فى لسان العرب : مادة وسط) .

(٣) الضميرى : كذا فى الأصل نقلا عن « تتمة صوان الحكمة للبيهقى » ، طبعة لاهور . وضمير : بلد من عمان ، وكزبير : موضع قرب دمشق الشام ، وجبل بالشام . وفى « تاريخ حكماء الاسلام طبعة دمشق ص٢٥ » : الضميرى . وصححه ناشره : الصيمرى . وصيمر بلد بين خوزستان وبلاد الجبل ، ونهر بالبصرة ، عليه قرى عامرة . وصيمرة بالتاء : ناحية بالبصرة ، بفم نهر معقل . ولا ندرى إلى اى هذه المواضع نسب المترجم ؟

(٤) فى « تاريخ حكماء الاسلام للبيهقى » : لاقتياد . وهذه أحسن .

٢ — من أثنى على نفسه فقد أظهر حُمْقه .

٣ — بالبِرّ تذهب الوَحْشة .

٢٩

أبو زَكَّار النَّيسابوريّ

كان حاذقا عالما بأجزاء العلوم والحكمة ، وله كتاب المبتدا[١] والمنتهى .

ومن كلامه :

١ — إن للنصارى شياطين تدعوهم[٢] إلى تناول لحم الخنزير ، وللمسلمين شياطين تدعوهم[٢] إلى شرب الخمر ، وأكل الجبن اليابس ، والقَديد والكوامخ[٣] .

٣٠

أبو الحسن بن سِنان

هو أبو الحسن ثابت بن سِنان بن ثابت بن قُرّة . كان طبيبا فاضلا ، يلحق بأبيه فى صناعة الطبّ ، وكان ساعورا[٤] بالبيمارستان ببغداد فى حدود سنة ٤٣٩ هـ .

---

(١) المبتدا : كذا فى « تاريخ حكماء الاسلام » ص ٢٤ ؛ وفى الأصل : المبتغى .

(٢) فى تاريخ حكماء الاسلام : يدعونهم . وكلاهما صحيح .

(٣) فى تاريخ حكماء الاسلام : الكواميخ .

(٤) الساعور : مقدم النصارى فى معرفة علم الطب وأدواته . وأصله بالسريانية : ساعورا . ومعناه : متفقد المرضى . (عن تاج العروس) . ولعل المراد رئيس الأطباء فى البيمارستان .

ومن كلامه :

١ — لذّةُ الهَوى لذة ساعة وألمُ دهر .

٢ — ابْعَثْ[١] عَيْنَيْك على نفسك ، حتى لا يكون الناس بعَيبك أعلمَ منك بنفسك .

٣ — فى الناس مَعايب سَتْرها أولى من كشفها .

٤ — إصلاح الأمور : بوثاقة الرأى ، وشدّة الرحمة .

٥ — رأسُ مروءة الملوك : حُبُّ العلم والعلماء ، ورحمة الضعفاء ، والاجتهاد فى مصلحة العامة .

٦ — من صَرَف رأيه فى غير المهمّ أزرى[٢] بالمهمّ .

٧ — البدنُ بناء ، وحفظ الصحة عِمادُه ، ولا غِنَى للبيت عن الأساس والعماد .

٣١

ابن سِينا

هو الشيخ الرئيس ، أبو علىّ الحسينُ بن عبد الله بن الحسن بن على ابن سينا ، أشهر من أن يذكر ، وفضائله أظهر من أن تسطّر . وُلد الشيخ الرئيس فى قرية يقال لها أُفْشَنَة ، من ضِياع بُخارَى ، وذلك فى سنة ٣٧٠ ﻫ

---

(١) كذا فى « تاريخ حكماء الاسلام » . يريد اجعل عينيك جاسوسا على نفسك . وفى الأصل : اتعب . تحريف .

(٢) أزرى بالمهم : أخل به ، وقصر فيه .

فى أيام نوح بن منصور ، ثم انتقل إلى بخارَى ، وتعلم الأدب ، وحفظ القرآن ، وتعلم الفلسفة والهندسة ، وحساب الهند ، واشتغل بالفقه ، كل ذلك على مشاهير رجال عصره ؛ وقد أتى على هذه العلوم وهو صغير السن . ثم رغب فى علم الطب ، وأتى عليه ، وصار فيه من المبرّزين ، فى أقل مدة . وأخذ فى تعهّد المرضَى ، وشاع ذكره ، واتسع رزقه ، وهو فى ذلك الوقت من أبناء ستَّ عَشْرةَ سنة ؛ ثم توفَّر على العلم والقراءة والتعليم ، حتى بلغ الغاية ، واتصل بالملوك والأمراء ، وتولى الوزارة ، وانتقل إلى البُلدان ، وناظر العلماء والفلاسفة ، وألف المصنفات الكثيرة . وانتقل إلى الرىّ ، وتولى مباشرة بيمارستانها ، واتصل بخدمة مجد الدولة والسيدة أمه .

وكان الشيخ الرئيس قوىَّ القُوَى كلِّها ، وكان يعتمد على قوة مِزاجه ، حتى أخذه قُولَنْج ، فأخذ يعالج نفسه ، فكان ينتكس ويبرأ ، حتى سقطت قوته ، ومات فى سنة ٤٢٨ هـ ، وكان عمره ٥٨ سنة [١] ، ودفن فى همَذان .

ومن كلام الشيخ الرئيس ابن سينا وصية أوصى بها بعض أصدقائه [٢] ، قال :

١ — ليكن الله تعالى أولَ فكر له وآخرَه ، وباطن كل اعتبار وظاهرَه ؛ ولتكن عين نفسه مكحولة بالنظر إليه ، وقدمها موقوفة على المثول بين يديه ، مسافرا بعقله فى الملكوت الأعلى ، وما فيه

(١) كذا فى القفطى (كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، مصر ص ٢٧٩) . وفى الأصل : ٥٣ سنة ، وجعل مولده سنة ٣٧٥ والصواب ٣٧٠ كما فى ابن خلكان ، وتاريخ حكماء الاسلام للبيهقى .

(٢) هو أبو سعيد بن أبى الخير الصوفى ، كما فى ابن أبى أصيبعة (٢ : ٩) .

من آيات ربه الكبرى ، وإذا انحط إلى قراره، فَلْيَرَ[1] الله تعالى فى آثاره ، فإنه باطن ظاهر ، تجلَّى لكل شىء ، بكل شىء .

ففى كل شىء له آية   تدل على أنه واحد

فإذا صارت هذه الحال ملكته[2] ، انطبع فى فَصِّه[3] نقش الملكوت ، وتجلى له قُدس اللاهوت ، فألِفَ الأُنس الأعلى ، وذاق اللذة القُصْوَى ، وأخذ عن نفسه من[4] هو بها أولى ، وفاضت عليه السكينة ، وحَفَّت به[5] الطمأنينة ، واطلع[6] على العالم الأدنى اطلاع راحم لأهله ، مستوهن لَحبْله[7] ، مستخف لثقله ، مستحسن به لعقله ، مستضل لطرقه ، وتذكر نفسه وهى بها لَهِجة ، وببهجتها بِهجة ، فتعجّب منها ومنهم تعجبهم منه ، وقد وَدَّعها وكان معها كأنه ليس معها .

---

(١) كذا فى مقدمة الناشر لكتاب النجاة ، طبعة السعادة بمصر سنة ١٣٣١ ﻫ . وفى الأصل نقلا عن ابن أبى أصيبعة : فليبزه .

(٢) كذا فى مقدمة ناشر النجاة ، وزاد بعدها : « وهذه الخصلة وتيرته » . وفى الأصل : له ملكة ، وسقطت منه الزيادة .

(٣) كذا فى مقدمة ناشر النجاة . وفى الاصل : فيها .

(٤) كذا وردت هذه العبارة فى ابن أبى أصيبعة (٢ : ٩) وفى مقدمة ناشر النجاة ص ١٤ : لمن هو بها أولى .

(٥) كذا فى مقدمة النجاة . وفى الأصل : حفت له .

(٦) فى الأصل : تطلع .

(٧) فى الأصل : لحيله .

وليعلم أن أفضل الحركات الصلاة ، وأمثلَ السَّكنات الصيام ، وأَرْفَعَ[(١)] البِرّ الصدقة ، وأزكى السير[(٢)] الاحتمال ، وأبطل السعى المراءاة ؛ ولن تخلص النفس عن الدَّرَن ما التفتت إلى قيل وقال ، ومناقشة وجدال ، وانفعلت بحال من الأحوال . وخير العمل ما صدر عن خالص نية ، وخير النية ما ينفرج عن جناب علم ، والحكمة أم الفضائل ، ومعرفة الله أول الأوائل ، « إليه يصعَدُ الكلم الطيبُ والعملُ الصالح يرفعه » .

ثم يُقبل على هذه النفس المزيَّنة بكمالها الذاتى ، فيحرسها عن التلطخ بما يشينها من الهيئات الانقيادية ، للنفوس المَوادِّية ، التى إذا بقيت فى النفس المزيَّنة ، كان حالها عند الانفصال ، كحالها عند الاتصال ، إذ جوهرها غيرَ مُشاوَب ولا مخالَط ، وإنما يدنسها هيئة الانقياد لتلك الصواحب ، بل يفيدها هيئات الاستيلاء والسياسة ، والاستعلاء والرياسة . وكذلك يهجر الكذب قولا وتخيلا ، حتى تحدث للنفس هيئة صدوقة[(٣)] ، فتصدق الأحلام والرؤيا . وأما اللذات فيستعملها على إصلاح الطبيعة ، وإبقاء الشخص أو النوع أو السياسة . أما المشروب فأن يهجر شربه تلهيا ، بل تشفيا[(٤)] وتداويا . ويعاشر كل فرقة

---

(١) كذا فى مقدمة النجاة . وفى الأصل : وأنفع .

(٢) كذا فى مقدمة النجاة . وفى الأصل : السر . وفى المخطوطة رقم ٥١٩ تاريخ من عيون الأنباء ، الورقة ١٣٩ : وأزكى البر .

(٣) صدوقة ، كذا بالتاء فى آخره ، بمعنى صادقة ، والصواب طرح التاء ، لأنه مما يستوى فيه المذكر والمؤنث . ولعله من تحريف النساخين .

(٤) تشفيا : التماسا للشفاء من الأمراض . يقال شفاه بكذا ، بتشديد الفاء ، فتشفى به .

بعادته ورسمه ، ويسمح بالمقدور والتقدير من المال ، ويركب لمساعدة الناس كثيرا ممـا هو خلاف طبعه . ثم لايقصِّر فى الأوضاع الشرعية ، ويعظم السنن الإلهية ، والمواظبة على التعبدات البدنية ، ويكون دوامَ عمره إذا خلا وخلص من المعاشرين ، تُطْرِبُه الزينة فى النفس ، والفكرة فى المَلِك الأول ومُلكه ، وكَيْس النفس عن عِثار الناس ، من حيث لايقف عليه الناس (١) .

عاهد الله أنه يسير بهذه السِّيرة ، ويدين بهذه الديانة . والله وليّ الذين آمنوا ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

٣٢

أبو الفرج عبد الله بن الطّيب

هو الفيلسوف العالم ، كان كاتب الجاثَليق (٢) ، ومتميزا فى النصارى ببغداد ، ويقرئ صناعة الطب بالبيمارستان العُضُدىّ ، ويعالج المرضى فيه . وكان معاصرا للشيخ الرئيس ابن سينا ، وله مؤلفات كثيرة فى الفلسفة والطب . عاش إلى ما بعد العشرين والأربعمئة . وقيل مات سنة ٤٣٥ ، وكان عالما باللغة الرومية واليونانية .

---

(١) فى ابن أبى أصيبعة (المخطوطة ٥١٩ : ج ٢ الورقة ١٣٩ بدار الكتب المصرية) : عثار . وهى أوضح . وفى النسخة المخطوطة منه رقم ١٨٣ الورقة ١٦٠ : عبارات الناس .
(٢) فى تاج العروس : الجاثليق : هو رئيس للنصارى فى بلاد الاسلام .

ومن كلامه :

١ — إذا قامت حجتك على الكريم أكرمك ووقّرك ، وإذا قامت على الخسيس عاداك وامتهنك .

٢ — الفقير المتشبّه بالغنيّ ، كالوارم المتشبّه بالسَّمِين .

٣ — من مدحك بما ليس فيك ، فهو مخاطب غيرك . وكذا من هجّنَك .

٤ — البخيل يَسْخو من عِرْضه ، بقدر ما يبخل من ماله .

٥ — إذا أقبلت الدولة خدمت الشهواتُ العقول ، وإذا أدبرت خدمت العقولُ الشهوات .

٦ — إذا صحبتَ العاقل فأرضِه وأسْخِط حاشيتَه ، وإذا خدمت الجاهلَ فافعل ضدّ ذلك .

٧ — حرامٌ على الملك السُّكْر ، فإنهُ حارسُ المملكة ، وقبيحٌ أن يحتاج الحارسُ إلى من يحرسه .

٨ — الشجاعُ يختار حسنَ الذكر على البقاء ، والجبان يختار البقاء على حسن الذكر .

٩ — الأمانى أحلام المستيقظ .

١٠ — البخيل تَغافُلُه عن عظيم الْجُرْم ، أسهل عليه من المكافأة على صغير الإحسان .

١١ — الشِّرير العالِم يفرح بالطعن على من تقدَّمه من العلماء ، ويسوءه بقاء من فى عصره منهم ، لأنه يحب ألّا يُكرَّم ولا يُمْدَحَ سِواه ، والغالب عليه فى العلم شهوة الرِّياسة .

٣٣

علىّ بن رِضْوان

هو أبو الحسن على بن رِضوان بن على بن جعفر ، كان مولده بالجيزة ، ومنشؤه بمدينة مصر ، وبها تعلم الطبّ والفلسفة ، وكان عمره حينما ابتدأ فيها أربعا وعشرين سنة ، ودأب على التعلم والاجتهاد فى تحصيل العلوم ، حتى بلغ الثانية والثلاثين من عمره ، واشتهر فيها بالطب ، وعظم تكسبه منه ، وخدم الحاكم بأمر الله ، وجعله رئيسا على سائر المتطببين . وكانت دار على بن رضوان بمصر القديمة فى قصر الشَّمْع . وكان كثير الرد على من كان معاصرَه من الأطباء وغيرهم ، وعلى كثير ممن تقدمه . وكانت وفاته فى سنة ٤٥٣ بمصر ، فى خلافة المستنصر بالله أبى تميم مَعَدّ بن الظاهر لإعْزاز دين الله بن الحاكم .

ومن كلامه قال :

١ — إذا كانت للإنسان صناعة ترتاض بها أعضاؤه ، ويمدحه بها الناس ، ويكسِب بها كِفايته فى بعض يوم ، فأفضل ما ينبغى له فى باقى يومه أن يصرفه فى طاعة ربه ، وأفضل الطاعات النظر فى الملكوت ،

وتمجيد المالك له[1] سبحانه ، ومن رُزق ذلك فقد رُزق خير الدنيا والآخرة ، وطُوبَى له وحسنُ مآب .

٢ — الطبيب ، على رأى بُقراط ، هو الذى اجتمعت فيه سبع خصال :

الأولى : أن يكون تامّ الخَلْق ، صحيح الأعضاء ، حسن الذكاء ، جيّد الرويّة ، عاقلا ، ذكورا ، خيِّر الطبع .

الثانية : أن يكون حسن الملبس ، طيّب الرائحة ، نظيف البدن والثوب .

الثالثة : أن يكون كتوما لأسرار المرْضَى ، لا يبوح بشىء من أمراضهم .

الرابعة : أن تكون رغبته فى إبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأُجرة ، ورغبته فى علاج الفقراء أكثر من رغبته فى علاج الأغنياء .

الخامسة : أن يكون حريصا على التعليم ، والمبالغة فى منافع الناس .

السادسة : أن يكون سليم القلب ، عفيف النظر ، صادق اللّهْجة ، لا يخطُر بباله شىء من أمور النساء والأموال التى شاهدها فى منازل الأعِلاء ، فضلا عن أن يتعرض إلى شىء منها .

---

(١) فى الأصل وابن أبى أصيبعة (٢ : ١٠٢) : لها .

السابعة : أن يكون مأمونا ، ثقة على الأرواح والأموال ، لا يصف دواء قتّالا ولا يُعلِّمه ، ولا دواءً يسقط الأجِنّة ، يعالج عدوّه بنية صادقة كما يعالج حبيبه .

٣ — البدن السليم من العيوب هو البدن الصحيح ، الذى كل واحد من أعضائه باق على فضيلته ؛ أعنى أن يكون يفعل فعله الخاصّ على ما ينبغى .

وقال :

٤ — تعَرُّف العيوب هو أن تنظر إلى هيئة الأعضاء والسَّحْنة والمِزاج ومَلْمَس البَشَرة ، وتتفقدَ أفعال الأعضاء الباطنة والظاهرة ، مثل أن تنادىَ به من بعيد ، فتعتبرَ بذلك حال سمعه ، وأن تعتبر بصره بنظر الأشياء البعيدة والقريبة ، ولسانه بجودة الكلام ، وقوته بشَيْل[1] الثِّقْل والمَسْك والضبط والمشى وأنحاءِ ذلك ، مثل أن تنظر مشيه مقبلا ومدبرا ، ويؤمر بالاستلقاء على ظهره ممدود اليدين ، قد نَصَب رجليه ، وصفّهما ، وتعتبر بذلك حال أحشائه ، وتتعرف حال مِزاج قلبه ، بالنبض وبالأخلاق[2] ، ومزاج كبده بالبول وحال الأخلاط . وتعتبر عقله بأن يُسْأل عن أشياء ، وفهمه وطاعته بأن يؤمر بأشياء ، وأخلاقه إلام تميل ؟ بأن تعتبر كل واحد منها بما يحركه أو يسكِّنه . وعلى هذا المثال

---

(١) كذا فى الأصل وابن أبى أصيبعة . وفى لسان العرب : شلت بالجرة أشول بها شولا رفعتها . ولا تقل شلت (أى بكسر الشين) .

(٢) يريد الانفعالات .

أجْرِ الحال فى تفقد كل واحد من الأعضاء والأَخلاق . أما فيما يمكن ظهوره للحسّ ، فلا تقنع فيه حتى تشاهده بالحسّ ، وأما فيما يتعرف بالاستدلال ، فاستدل[1] عليه بالعلامات الخاصية ، وأما فيما يتعرف بالمسألة ، فابحث عنه بالمسألة ، حتى تعتبر كل واحد من العيوب ، فتعرف هل عيب حاضر أو كان أو متوقَّع ، أم الحال صحة وسلامة .

٥ — إذا دُعيت إلى مريض ، فأعطه ما لا يضره ، إلى أن تعرف علته ، فتعالجها عند ذلك . ومعنى معرفة المرض هو أن تعرف من أى خِلْط حدث أوّلا ، ثم تعرف بعد ذلك فى أى عضو هو ، وعند ذلك تعالجه .

٣٤

أمين الدولة ابن التلميذ[2]

هو مُوَفَّق المُلْك ، أمين الدولة ، أبو الحسن ، هبة الله بن أبى العلاء صاعد بن إبراهيم بن التلميذ ، أوحد زمانه فى صناعة الطب ، وكان ساعور البيمارستان العَضُدِىّ ببغداد ، وكان جيد الكتابة ، وخبيرا باللسان السُّريانىّ والفارسىّ ، متبحرا فى اللغة العربية ، وله شِعْر مستظرف ، وكان حسن العشرة ، كريم الأخلاق ، عنده سخاء ومروءة ، وأعماله فى الطبّ

(١) فى الأصل نقلا عن ابن أبى أصيبعة (٢ : ١٠٣) ما يستدل . تحريف .

(٢) عرف بابن التلميذ ، لأن جده لأمه أبا الفرج يحيى بن التلميذ النصرانى البغدادى ، كان حكيم معتمد الملك ، فلما توفى قام هبة الله ابن بنته مقامه ، فنسب إليه . (القفطى طبع مصر ص ٢٢٣) . وهذه الترجمة ملخصة من كتاب ابن أبى أصيبعة (١ : ٢٥٩ وما بعدها) وقد ذكر له المؤلف ترجمة ثانية وكلاما لخصه من تاريخ حكماء الاسلام للبيهقى ، ظانًّا أنه رجل آخر غير هذا .

مشهورة ، وفَوَّض إليه الخليفة المستضىء بأمر الله رآسة الطبّ ببغداد .
وكانت وفاته ببغداد فى الثانى والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٥٦٠ هـ ،
وله من العمر ٩٤ سنة ، وخلَّف نِعما كثيرة ، وأموالا جزيلة ، وكتبا لا نظير
لها فى الجودة .

ومن كلامه كان يقول لتلاميذه :

١ — لا تُقَدِّروا أن أكثر الأمراض تحيطون بها خِبرة ، فإنّ منها
ما يأتيكم من طريق السَّماوة (١) .

٢ — متى رأيت شوكة فى البدن ، ونصفها ظاهر ، فلا تشترط
أنك تقلعها ، فإنها ربما انكسرت .

٣ — ينبغى للعاقل أن يختار من اللباس مالا تحسُدُه عليه العامة ،
ولا تَحْتَقِره فيه الخاصّة .

ولأمين الدولة كلام فى ضمن رسالة كتبها إلى ولده ، قال :

٤ — والتفت بذهنك عن هذه الترُّهات إلى تحصيل مفهوم تتميز به ؛
وخذ نفسك من الطريقة بما كَرَّرْتُ تنبيهك عليه ، وإرشادك إليه .
واغتنم الإمكان ، واعرف قيمته ، وتشاغل بشكر الله تعالى عليه .
وفُزْ بحظّ نفيس من العلم ، تثق من نفسك بأنْ عَقَلْتَه وملكتَه ،
لا قرأته ورويته ، فإن بقية الحظوظ تتبع هذا الحظّ المذكور ، وتلزم

---

(١) السماوة : اسم للسقف ، ولكل شىء عال . ويريد هنا السماء .

صاحبه ، ومن طلبها من دونه فإما ألَّا يجدها ، وإما ألّا يعتمد عليها إذا وجدها ، ولايثق بدوامها . وأعوذ بالله أن ترْضى لنفسك إلَّا بما يليق بمثلك أن يَتَسامَى إليه بعلو همته ، وشدة أَنَفَته ، وغَيرته على نفسه . ومما قد كررت عليك الوَصاة به ، ألا تحرِصَ على أن تقول شيئا لايكون مهذبا فى معناه ولفظه ، ويتعين عليك إيراده ، فأَمّا معظم حرصك فتصرفه إلى أن تسمع ما تستفيده ، لا مايلهيك ويلذ للأغمار وأهل الجهالة ، نزَّهك الله عن طبقتهم ، فإن الأمر كما قال أفلاطُون :

« الفضائل مرّة الورْد حُلوة الصَّدَر (١) ، والرذائل حلوة الوِرد مرّة الصَّدَر » . وقد زاد أرِسْطُوطَاليس فى هذا المعنى ، فقال : « إن الرذائل لاتكون حُلْوة الوِرْد ، عند ذى فِطرة فائقة ، بل يؤذيه تصور قبحها ، أذًى يفسد عليه ما يستلذه غيره منها » . وكذلك يكون صاحب الطبع الفائق قادرا بنفسه على معرفة ما يتَوخَّى وما يجتنب ، كالتامّ الصحة ، يكفى حِسُّهُ فى تعريفه النافع والضار ، فلا ترْض لنفسك حفظكَ الله ، إلا بما تعلم أنه يناسب طبقة أمثالك . واغلب خَطَراتِ الهوَى بعزَمات الرجال الراشدين ، واطمح بنفسك إليها ، تتركك فى طاعة عقلك ، فإنك تسر بنفسك ، وتراها فى كل يوم مع اعتماد ذلك فى رتبة عليّة ، ومرْقاة من سماء فى السعادة .

(١) يريد بالورد : أول الأمر ؛ وبالصدر : آخره وعاقبته .

٣٥

الحكيم أبو الحسن بن التلميذ الطبيب البغدادى[(١)]

حكى لى بعض أفاضل نَيسابور، وهو الإمام الحكيم الكامل، أبو بكر ابن عُروة رحمه الله، وكان ذلك الإمام عالما بالمذهب والخِلاف، وعالما بجميع أجزاء علوم الحكمة، ورعا متدينا، كاملا فى جميع ما يَكمُلُ به الإِنسان، فى هذا الزمان. وقد مات بإِستراباذ، عند انصرافه من بغداد، فى شهور سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة:

إنى دخلت على ابن التلميذ يوما، فلما عرف أنى حصّلت بعض علوم الحكمة، غيّر درسه، وأورد فيه من دقائق المنطق والطبيعيات ما عرفت به أن له وراء الطب غاية.

وحكى لى نجيب الدين أبو بكر الطبيب النيسابورى، أنه لما عرف السلطان الأعظم بضعف مِزاجه، حَضَر ابن التلميذ مجلس السلطان، وقال: أنا أزيل حُمّاك، وكتب نسخة حَبّ[(٢)] فيها:

---

(١) ابن التلميذ موفق الملك أمين الدولة أبو الحسن هبة الله بن أبى العلاء صاعد ابن إبراهيم، علم من أعلام الأطباء ببغداد فى القرن السادس. ذكره ابن أبى أصيبعة، وابن خلكان، وياقوت، والقفطى، والعماد الأصبهانى. وأخباره فى هذه المصادر تكاد تكون واحدة.

وانفرد البيهقى فى «تاريخ حكماء الاسلام» بذكر طائفة غريبة من أخباره وأقواله، مع اختصار اسمه واختلاف سنة وفاته. ولذلك ظن المؤلف هنا أن الترجمتين لرجلين مختلفين، فأفرد لكل منهما ترجمة خاصة. والحق أن ترجمة البيهقى هى لأمين الدولة ابن التلميذ الذى ترجم له الآخرون. وقد أثبتنا الترجمتين اتباعا للمؤلف.

(٢) أى دواء مركب يجعل حبوبا.

مثقال من السَّقَمونِيا (١) ، ومثقال ونصف من الزُّبد (٢) ، ومثقال من أيارج لُوغاذيا (٣) ، ومثقال ونصف من شحم الحنظل (٤) ، ومثقال من الزَّنجبيل ، ومثقال ونصف من أيارج فَيْقرا (٥) ، ونصف مثقال من الرِّيوند (٦) الصينىّ ، ومثقال من الجاوْشير (٧) والسَّكْبينج (٨) .

فقال بديع الزمان الطبيب : السلطان يشرب شربة من التَّرَنْجَبِين (٩) مع فلوس الخيار شَنْبَر (١٠) ، ويجد منه الإسهال عشرين نوبة . فلو تناول هذا الحَبَّ من يحبس طبيعته من الأطباء ؟

فخاف السلطان من تناوله ، وبقيت النسخة فى أيدى أطباء خُراسان .

---

(١) السقمونيا ، وتسمى المحمودة أيضا : عصارة نبات يشبه اللبلاب ، تنق الأخلاط الصفراوية ، وتحللها تحليلا مفرطا . (المعتمد فى الأدوية المفردة ، ليوسف بن رسول) .

(٢) الزبد ، بالزاى : كذا فى الأصل نقلا عن تاريخ حكماء الاسلام للبيهقى . ونظنه محرفا عن « التربد » ، وهو نبت فارسى يشبه ورقه ورق اللبلاب الكبير ، وله ثمر كأسنة العصافير ، يسهل البلغم والرطوبة ، وينقى البدن (تذكرة داود) .

(٣) الأيارج : لفظ يونانى معناه : المسهل . ولوغاذيا : حكيم يونانى من تلامذة أسقليبيوس ، واشتهر بهذا الدواء فى أيامه . وهذا الدواء يخرج ما احترق أو لزج أو غلظ من الأخلاط ، خصوصا من الباردين .

(٤) الحنظل : ثمرة شجرة تمتد على الأرض ، مستديرة كالرمان . وشحمها : ما يحيط به القشر .

(٥) فيقرا : يونانى معناه : المر . قال الشيخ داود فى تذكرته : وأيارج فيقرا صناعة أبقراط ؛ ينقى البدن ، ويستأصل البلغم .

(٦) الروند بوزن قمطر ، والريوند والراوند : أصل نبات له منافع كثيرة . يستعمله الأطباء . (انظر تاج العروس) .

(٧) الجاوشير : صمغ شجرة ورقها خشن شبيه بورق الساق . وهو نافع يخرج الرياح من الجوف ، ويقلع الخام الغليظ ، ويحلل أوجاع المفاصل (المعتمد) .

(٨) السكبينج والسكنبيج : صمغ شجرة بفارس ، يستأصل شأفة البلغم (تذكرة داود) .

(٩) الترنجبين : عسل رطب يسقط على نبات العاقول بفارس يسهل الصفراء بلطف (تذكرة داود) .

(١٠) الخيارشنبر : نبات له ثمر فى أنابيب يسهل الصفراء المحترقة ، ويسكن حدة الدم ، ويحلل الأورام الحارة . (المعتمد فى الأدوية المفردة ، ليوسف بن رسول) .

وسمعت أن مَرْسوم بن التلميذ ببغداد ، يزيد كلَّ سنة على عشرين ألفَ دينار ، وكان ينفق جميع ذلك على طلاب العلم والغرباء وغيرهم ، وكان نصرانى المِلَّة ، وتوفى فى شهور سنة ٥٤٩ هـ [١] .

ومن حكمه وكلماته ما حكاه لى أبو الفتوح الطُّوسِىّ النصرانىّ ، قوله :

١ — العالِم الذى هو غير مُعَلِّم كمتموِّل بخيل .

٢ — إِن كان لك حظ فى الدنيا ، أتاك مع ضعفك ، وإِن كان لك منها بَلاء ، لم تدفعه عن نفسك بقوتك .

٣ — ربما يأتى الخير من جهة الخوف ، والشر من جهة الرجاء .

٤ — من اشتغل بأمر قبل زمانه ، فرغ منه فى زمانه .

٣٦

أوحد الزمان ، أبو البركات ، هبة الله بن على بن مَلْكا [٢] البَلَدِىّ

مولده : ببلَد [٣] ، ثم أقام ببغداد . كان فى خدمة المستنجد بالله ، وتصانيفه فى غاية الجودة ، وكان له اهتمام بالغ فى العلوم ، وعاش نحو ثمانين سنة ، وقيل ٩٠ سنة شمسية . وأصابه الجُذام ، فعالج نفسه فصح ، وعَمِىَ فبقى أعمى مدة . وقد اتهمه السلطان محمد بن مَلِكشاه بسوء علاجه ، وسوء تدبيره ، فحبسه مدة . وفى سنة ٥٤٧ هـ أصاب السلطانَ مسعود بن محمد بن ملكشاه

(١) كذا فى تاريخ حكماء الاسلام للبيهقى ص ١٤٥ ولعله ٥٥٩ والمشهور ٥٦٠

(٢) ملكا : بغير نون فى آخره : كذا بالأصل وابن أبى أصيبعة (١ : ٢٧٨) ونكت الهميان للصفدى . وضبطه ابن خلكان وأبو الفداء وتاريخ حكماء الاسلام ، بالنون فى آخره .

(٣) بلد : اسم مدينة بالجزيرة ، واسم مدينة أخرى بفارس .

قُولَنْج ، بعد ما افترسه أسد ، فَحُمِلَ من بغداد إلى هَمَذان أبا البركات ، فلما يئس الناس من حياة السلطان ، خاف أبو البركات على نفسه ، فمات ضَحْوة ، ومات السلطان بعد العصر ، وحمل تابوت أبي البركات إلى بغداد مع الحُجّاج .

ومن كلمات الحكيم أبي البركات :

١ — الخطيب : هو الذى تصدر عنه الخَطابة ، ومن شرطه أن يكون متنسّكا متعففا ، فصيحا بليغا ، يقدر على استمالة السامعين واستدراجهم ، ويعرف أخلاق الناس ، ويكلّمهم على قدر عقولهم ، ويكون قوىّ العزم على الأمر ، لاينفعل من المُغضبات . والمخطوب : هو السامع ، وقد يكون خَصِما ، وقد يكون نظّارا . والمخطوب به : الضمير والتمثيل . والمخطوب فيه : المَشْوَريّات ، والمُنافَريّات ، والمشاجَريّات . فيجب أن يعرف الخطيب فى المَشْوَريات الخير من الشرّ ، وخيرَ الخَيْرَيْن ، وشر الشرّين . والخير الحقيقى أربعة : العفّة ، والشجاعة ، والحكمة ، والعدالة . وسعادات الدنيا : لطف الحواس ، وجودة المشورة فى الآراء ، والبراءة من الخطأ والزلل ، والإسجاح فى الطلب ، وكرم الأصل ، وأن يكون له أولاد ذكور وإناث ، حِسان عفيفات ، ويكون له إخوان يساعدونه على ما يهواه ، ويكون له الغنى والتجمّل والثروة ، وهو فى الاستمتاع لا فى القِنية .

وإن شئت جمعت هذا الكلام فى المَقُولات : أما فى « الجوهر » فأن يكون كريم الأصل ؛ وفى « الكمّ » أن يكون جَزْل العطاء ؛

وفى « الكيف » أن يكون له اليسار والاقتدار ؛ وفى « الإضافة »
الرياسة ؛ وفى « الأيْن » المكان الأنيق المبهج ؛ وفى « متى » الوقت
الطيب ؛ وفى « الموضع » الهيئة الحسنة ؛ وفى « الفعل » نفاذ الأمر ؛
وفى « الانفعال » السماع الطيب[١] .

٢ — الشهوات أُجَر تُستخدَم بها النفوس فى عمارة عالم الطبيعة ،
لتذهَل عما يلزمها من التعب ، ويلحقها من الكَلال ؛ فأَعْمَلُها فى ذلك
أخَسُّها ، وأزهدها أحَسُّها .

٣٧

أبو الحسن[٢] سعيد بن هبة الله الطبيب البغدادىّ

كان طبيبا فاضلا كاملا ، وله تصانيف كثيرة ، وكان عبد الوهاب
النَّيسابورىّ تلميذه ، وهو ممن حمل تصانيفه إلى خُراسان .

ولأبى الحسن محل معمور فى معقولات الحكمة ، وتصنيفه فى التشريح ،
والمغنى فى الطب ، يدلّان على كماله فى صناعته .

ومن كلماته ما حدثنى عنه الحكيم عبد الوهاب ، قوله :

١ — من اعتذر من غير ذنب ، أوجب الذنب على نفسه .

---

(١) قال ظهير الدين البيهقى فى تاريخ حكماء الاسلام (ص ١٥٤) ، بعد أن أورد كلام أبى البركات هذا : « ولا أدرى إن كان هذا الكلام له أو لغيره » .

(٢) فى الأصل وفى تاريخ حكماء الاسلام للبيهقى ص ١٤٦ : ابن الحسن ، ولم يذكر اسمه . وفى ابن أبى أصيبعة (١ : ٢٥٤) « هو أبو الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين » . وكان موجودا فى سنة ٤٨٩ ه .

٢ — التوانى فى المصالح يُنتج الهلاك .

٣ — أشقى العاجزين من جمع عجزا إلى عجزه ، وتمثل بقول الشاعر :

وعاجز الرأىِ مِضياع لفُرْصته حتى إذا فات أمرٌ عاتب القدَرَا

٤ — ما تكبّر أحدٌ إلا لنقصانٍ يجده فى ذاته .

٥ — الحياء شعبة من الهيبة .

٦ — إذا كان لك عند امرئٍ يدٌ فالتمس إِحياءَها بإِماتتها .

٣٨

العَنترىّ[1] أبو المؤيَّد ، محمد بن المُجَلّى بن الصائغ الجَزَرِىّ

كان طبيبا مشهورا ، وعالما حسن المعالجة ، جيد التدبير ، وافر الفضل ، فيلسوفا ، متميزا فى علم الأدب ، وله شعر فى الحكمة وغيرها .

ومن كلامه :

١ — بُنَىّ ، تعلم العلوم ولو[2] لم تنل بها من الدنيا إِلا الغنى عمن يستعبدك بحق أو بباطل .

٢ — بُنَىّ ، إِن الحكمة العقلية تريك العالَمَ يُقادون بأزمّة الجهل ، إِلى الخطأ والصواب .

---

(١) كان فى أول أمره يكتب أحاديث عنترة العبسى (ابن أبى أصيبعة ١ : ٢٩٠) .

(٢) ابن أبى أصيبعة (١ : ٢٩٠) فلو لم تنل ولعله تحريف ، أو جواب لو محذوف . أى لكفاك .

٣ — الجاهل عبد لا يُعْتَقُ رِقُّه إلا بالمعرفة .

٤ — الحكمة سراج النفس ، فمتى عَدِمَتْهَا عميت النفسُ عن الحق .

٥ — الجاهل سكران ، لا يُفيق إلا بالمعرفة .

٦ — الحكمة غذاء النفس وجمالُها ، والمال غذاء الجسد وجماله ، فمتى اجتمعا للمرء زال نقصه ، وتم كمالُه ، ونَعِم باله .

٧ — الحكمة دواء من الموت الأَبَدِىّ .

٨ — كون الشخص بلا علم كالجسد بلا رُوح .

٩ — الحكمة شرف من لاشرفَ له قديم .

١٠— الأدب أزين للمرء من نَسبه ، وأولى بالمرء من حَسَبه ، وأدفع عن عرضه من ماله ، وأرفع لذكره من جماله .

١١— من أحب أن يُنَوَّه باسمه ، فليكثر من العناية بعامه .

١٢— العالم المحروم ، أشرف من الجاهل المرزوق .

١٣— عدم الحكمة هو العُقْم العظيم .

١٤— الغمّ ليلُ القلب ، والسرور نهاره ، وشرب السّمّ أهون من معاناة الهمّ .

١٥— الجاهل يطلب المال ، والعالم يطلب الكمال .

ومن شعر أبى المؤيد محمد بن المجلِّى بن الصائغ المعروف بالعنترىّ ، قصيدة تنسب أيضا إلى الشيخ الرئيس ابن سينا ، وتنسب لابن بُطْلان ،

قال ابن أبى أصيبعة : الصحيح أنها للعنترىّ ، واستدلّ على ذلك بأن الحكيم سَديد الدين محمود بن عمر بن رقيقة أنشده إياها مما سمعه من مؤيد الدين ولد العنترىّ ، من شعر أبيه ؛ ووجد ابن أبى أصيبعة أيضا أن العنترىّ قد ذكرها فى كتابه المسمى بالنّور المجتنَى ، وقال إنها له ، وهى هذه :

احفظْ بُنَىّ وصيتى واعمَلْ بها ... فالطبُّ مجموع بنصّ كلامِى
قَدّمْ على طِبّ المريض عِناية ... فى حفظ قُوّته مع الأيامِ
بالشِّبْهِ تحفظ صحة موجودة ... والضدُّ فيه شِفاء كل سَقام
أَقلِلْ نكاحَك ما استطعت فإنهُ ... ماء الحياة يُرَاقُ فى الأرحام
واجعلْ طعامك كلَّ يوم مرةً ... واحذرْ طعاما قبلَ هضمِ طَعام
لاتحقِرِ المرضَ اليَسيرَ فإنهُ ... كالنَّار تُصْبِحُ وهى ذات ضِرام
وإذا تغيَّر منك حالٌ خارجٌ ... فاحتلْ لرجعة حَلّ[١] عَقدِ نِظام
لاتهجُرَنّ القىءَ واهجرْ كلَّ ما ... كَيموسُه سببٌ إلى الأسقام
إِن الحِمَى[٢] عونُ الطبيعة مُسْعِد ... شاف منَ الأَمراض والآلام
لاتشربَنَّ بعَقبِ أكل عاجلًا ... أوْ تأكُلَنّ بعقْب شُرْب مُدَام
والقَىء يُقْطَعُ والقُيام كلاهما ... بهما ، وليس بنوعٍ كل قُيام
وخُذِ الدواء إذا الطبيعة كُدِّرت ... بالإِحتلامِ وكثرةِ الأَحلام
وإذا الطبيعةُ منكَ نقَّتْ باطنا ... فدواء ما فى الجلد بالحَمّام

(١) كذا فى الأصل نقلا عن ابن أبى أصيبعة (١ : ٢٩١) ولعله تحريف عن :
* فاحتل لرجعة حال عقد نظام *

(٢) يريد الحمية .

إياكَ تلزمُ أَكْل شيءٍ واحدٍ فتقودُ طبعَك للأذى بزِمام
وتزيدُ فى الأخلاط إن نقصت به زادت ، فنقّصْ فضلَها بقِوام
والطبُّ جملتُه إذا حقّقته حَلٌّ وعقدُ طبيعة الأجسام
ولِعَقْل تدبير المزاج فضيلة يُشفى المريضُ بها وبالأوهام

٣٩

عين الزمان الحسن القطّان المَرْوَزِىّ[١]

كان من تلاميذ الأديب أبى العباس اللّوكَرِىّ ، وكان طبيبا حكيما ، مهندسا أديبا ، له طبع فى الشعر ، وله تصانيف ، منها كيهان سياحت فى الهيئة ، وكتاب فى العروض ، وكتاب الدَّوْحة فى الأنساب ، ورسائل فى الطبّ ، وأكثر معالجاته يئول إلى تقليل الطعام وتلطيفه ، وربما ينهى المريض عن الدواء الغذائى ، فضلا عن الغذاء .

ومن فوائده :

١ — أم الفضائل النفسانية الحكمة ، وظِئْرها[٢] المِزاج المعتدل ، وأبوها الاستعداد الكامل ، وابنها السعادة العظمى .

٢ — الرياء أخس الأعمال .

٣ — الاحتمال أزكى السِّيَر[٣] .

---

(١) هو الحسن بن على بن محمد بن إبراهيم بن أحمد القطان ، أبو على المروزى البخارى الأصل . كان فاضلا عالما باللغة والأدب والطب وعلوم الأوائل المهجورة . مولده بمرو سنة خمس وستين وأربع مئة . ومات فى العشر الأوسط من رجب سنة ثمان وأربعين وخمس مئة (عن بغية الوعاة ، فى طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطى ص ٢٢٤) .

(٢) أصل الظئر : الرجل أو المرأة الحاضنة ، وهى المربية تربى ولد غيرها .

(٣) وردت هذه الكلمة فى وصية ابن سينا لأبى الخير الصوفى (انظر صفحة ٤٦) .

٤٠

أبو الوليد بن رُشْد [١]

هو القاضى أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رُشد . مولده ومنشؤه بِقُرطبة ، أَوْحَدُ زمانه فى علم الفقه ، وكان متميزا فى علم الطبّ ، جيد التصنيف ، حسن المعانى ، أخذ كثيرا من العلوم الحكمية ، وكان مقربا من الملوك ، مكينا عند المنصور أبى يوسف يعقوب بقرطبة . وكانت وفاة القاضى أبى الوليد ابن رشد فى مَرَّاكُش أول سنة ٥٩٥ هـ .

ومن كلامه :

من اشتغل بعلم التشريح ازداد إِيمانا بالله .

٤١

ابن خطيب الرَّىّ [٢]

الإِمام فخر الدين ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازىّ . كان علامة وقته ، شديد الحرص فى سائر العلوم الشرعية والحكمية ، جيد الفِطْرة ، حادّ الذهن ، حسن العبارة ، قوى النظر فى صناعة الطبّ ، عارفا بالأدب ، يقصده الطلبة والعلماء من البلاد على اختلاف مطالبهم فى العلوم ، فى بلدة الرّىّ ، فكان كل منهم يجد عنده النهاية القُصْوَى فيما يروم فيه . وكان لمجلسه جلالة ومهابة ، وكان إذا ركب يمشى حوله ثلاثمائة تلميذ ، فقهاء

(١) هو المشهور بالحفيد ، لتميزه عن جده المشارك له فى الاسم والكنية (انظر ترجمته فى الديباج المذهب لابن فرحون طبع مصر ٢٨٤ — ٢٨٥) .

(٢) انظر ترجمته فى ابن أبى أصيبعة (٢ : ٢٣ — ٣٠) .

وغيرهم ، وكانت الملوك تأتى إليه ، ويحترمونه كثيرا ، وكان عَبْل البدن [١] ، رَبْع القامة [٢] ، كبير اللحية ، عظيم الصدر والرأس ، وكان فى صوته فخامة . وكان الوزير علاء الملك العلوىّ وزير خُوارزمشاه ، قد تزوج بابنة الإمام فخر الدين ، فلما قَهر التتر خُوارزمشاه ، توجه علاء الملك قاصدا جَنْكيزخان ، وقدَّم الشيخ فخر الدين إليه ، فأكرمه وجعله عنده من جملة خواصّه . وتوفى فخر الدين الرازىّ بِهَراة يوم العيد غرة شوال سنة ٦٠٦ هـ ، وأملى فى شدة مرضه وصيته على تلميذه إبراهيم بن أبى بكر بن على الأصفهانى .

وهذه نسخة الوصية :

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الراجى رحمة ربه ، الواثق بكرم مولاه ، محمد بن عُمَرَ بن الحسين الرازىّ ، وهو فى آخر عهده بالدنيا ، وأول عهده بالآخرة ، وهو الوقت الذى يلين فيه كل قاس ، ويتوجه إلى مولاه كل آبق :

إنى أحمد الله تعالى بالمحامد التى ذكرها أعظم ملائكته ، فى أشرف أوقات مَعارجهم ، ونطق بها أعظم أنبيائه ، فى أكمل أوقات مُشاهداتهم ؛ بل أقول كل ذلك من نتائج الحدوث والإمكان ، فأحمده بالمحامد التى تستحقها أُلوهيته ، ويستوجبها لكمال الموهبة ، عرفتها أو لم أعرفها ، لأنه لا مناسبة للتراب ، مع جلال ربّ الأرباب ؛ وأصلِّى على الملائكة المقرّبين ، والأنبياء المرسلين ، وجميع عباد الله الصالحين .

---

(١) عبل البدن : ضخمه .

(٢) ربع القامة : متوسطها .

ثم أقول بعد ذلك :

اعلموا إخوانى فى الدين ، وأَخْدانى فى طلب اليقين ، أن الناس يقولون : الإِنسان إذا مات انقطع تعلقه عن الخلق ؛ وهذا العامّ مخصوص من وجهين : الأول : أنه إن بقى منه عمل صالح ، صار ذلك سببا للدعاء ، والدعاء له أثر عند الله . والثانى ما يتعلق بمصالح الأطفال والأولاد ، والعَوْرات ، وأداء المظالم والجنايات .

أما الأول فاعلموا أنى كنت رجلا محبا للعلم ، فكنت أكتب فى كل شىء شيئا ، لا أقف على كَمِّية وكَيْفية ، سواء كان حقا أو باطلا ، أو غثا أو سمينا ، إلا أن الذى نظرته فى الكتب المعتَبَرة لى ، أن هذا العالم المحسوس ، تحت تدبير مدبّر منزَّه عن مماثلة المتحيِّزات والأعراض ، وموصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة . ولقد اختبرت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيت فيها فائدة تساوى الفائدة التى وجدتها فى القرآن الكريم ، لأنه يسعى فى تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى ، ويمنع عن التعمق فى إيراد المعارَضات والمناقَضات ، وما ذاك إلا العلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل فى تلك المضايق العميقة ، والمناهج الخفية ؛ فلهذا أقول : كلُّ ما ثبت بالدلائل الظاهرة ، من وجوب وجوده ، ووحدته ، وبراءته عن الشركاء فى القدم والأزلية ، والتدبير والفعَّالية ، فذاك هو الذى أقول به ، وألقى الله تعالى به .

وأما ما انتهى الأمر فيه إلى الدقة والغموض ، فكل ما ورد فى القرآن

والأخبار الصحيحة المتفق عليها بين الأئمة المتَّبِعين ، للمعنى الواحد ، فهو كما هو ، والذى لم يكن كذلك أقول : يا إله العالمين ، إنى أرى الخلق مُطْبقِين على أنك أكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين ؛ فلك ما مرّ به قلمى ، أو خطر ببالى ، فأستشهد علمك ، وأقول إن علمت منى أنى أردت به تحقيق باطل ، أو إبطال حق ، فافعل بى ما أنا أهله ، وإن علمت منى أنى ما سعيت إلا فى تقرير ما اعتقدت أنه هو الحق ، وتصورت أنه الصدق ، فلتكن رحمتك مع قصدى ، لامع حاصلى ، فذاك جُهْد المُقِلّ ، وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع فى الزَّلَّة ، فأغثنى وارحمنى ، واستر زلتى ، وامحُ حَوْبتى ، يا من لايزيد مُلكه عرفانُ العارفين ، ولا ينْتَقَص بخطأ المجرمين .

وأقول : دينى متابعة محمد سيد المرسلين ، وكتابى هو القرآن العظيم ، وتعويلى فى طلب الدين عليهما .

اللهم ياسامع الأصوات ، ويا مجيب الدعوات ، ويا مُقيل العَثَرات ، ويا راحم العَبَرات ، ويا قيام المحدَثات والممكنات ، أنا كنت حسن الظن بك ، عظيم الرجاء فى رحمتك ، وأنت قلت : أنا عند ظن عبدى بى ، وأنت قلت : « أَمَّن يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذا دعاه » . وأنت قلت : « وإِذَا سَأَلَكَ عبادِى عَنِّى فإِنى قريب » ، فهب

أنى ما جئت بشىء ، فأنت الغنى الكريم ، وأنا المحتاج اللئيم . وأعلم أنه ليس لى أحد سواك ، ولا أجد محسنا سواك ، وإنا معترف بالزَّلَّة والقصور ، والعيب والفُتور ، فلا تخيِّب رجائى ، ولا تردَّ دعائى ، واجعلنى آمنا من عذابك قبل الموت ، وعند الموت ، وبعد الموت ، وسهل علىّ سَكَرَات الموت ، وخفف عنى نزول الموت ، ولا تضيِّق على بسبب الآلام والأسقام ، فأنت أرحم الراحمين .

٤٢

ابن باجَّه

أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ ، ويعرف بابن باجَّه ، من الأندلس . كان علامة وقته فى العلوم الحكمية ، ويُعَدّ من الأفاضل فى صناعة الطبّ ، وكان متميزا فى العربية والأدب ، حافظا للقرآن ، متقنا لصناعة الموسيقى ، وله تعاليق فى الهندسة ، وفى علم الهيئة ، تدل على براعته . توفى ابن باجَّه شابًّا [١] بمدينة فاس ، ودفن بها .

ومن كلامه قال :

١ — الأشياء التى ينفع [٢] تعامها بعد زمان طويل ، لا يضيع تذكرها .

٢ — حسِّن عملك ، تفز بخير من الله سبحانه .

---

(١) توفى ابن باجه سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة (عن القفطى ص ٢٦٥) .

(٢) كذا فى الأصل نقلا عن ابن أبى أصيبعة (٢ : ٦٣) ولعلها محرفة عن : يقع .

٤٣
صَدَقة السامرىّ

هو صدقة بن مُنجا [١] السامِرىّ ، من الأكابر فى صناعة الطبّ ، المتميزين من أهلها ، كان كثير الاشتغال ، محبا للنظر والبحث ، قويا فى الفلسفة ، خدم الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب . توفى صَدَقةُ بمدينة حَرّان ، فى سنة نَيِّف وعشرين وستمائة .

ومن كلامه :

١ — الصوم منع البدن من الغذاء ، وكف الحواسّ عن الخَطَاء ، والجوارح عن الآثام ، وهو كف الجميع عما يُلْهِى عن ذكر الله .

٢ — اعلم أن جميع الطاعات تُرَى ، إلا الصوْم ، لا يراه إلا الله ، فإنه عمل فى الباطن بالصبر المجرّد .

وللصوم ثلاث درجات : صوم العموم ، وهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة ؛ وصوم الخصوص ، وهو كف السمع والبصر واللسان وسائر الجوارح عن الآثام ؛ وأما صوم خصوص الخصوص ، فصوم القلب عن الهِمَم الدنية ، والأفكار الدنياوية ، وكفه عما سوى الله تعالى .

(١) منجا : كذا بالألف فى ابن أبى أصيبعة وتاج العروس . وقياسه أن يكتب بالياء ، لأنه اسم مفعول من أنجاه أو من نجاه ، لكن الأعلام تحتمل كثيرا من التغيير .

٣ — ما كان من الرطوبات الخارجة من الباطن ليس مستحيلا وليس له مقرّ ، فهو طاهر ، كالدمع والعَرَق واللُّعاب والُمخاط ، وأما ماله مَقرّ وهو مستحيل ، فهو نجس ، كالبول والرَّوْث .

٤ — اعلم أن الوزير مشتق اسمه من حَمْل الوِزْر عمَّن خدمه ؛ وحَمل الوِزر لايكون إلا بسلامة من الوزير فى خِلقته وخلائقه ؛ أما فى خلقته فأنه يكون تام الصورة ، حسن الهيئة ، متناسب الأعضاء ، صحيح الحواسّ ؛ وأما فى خلائقه ، فهو أن يكون بعيد الهمة ، سامىَ الرأى ، ذكى الذهن ، جيد الحَدْس ، صادق الفِراسة ، رحْب الصدر ، كامل المروءة ، عارفا بموارد الأمور ومصادرها ، فإذا كان كذلك ، كان أفضل عُدَد المملكة ، لأنه يصون المِلك عن التبذُّل ، ويرفعه عن الدناءة ، وينوص له على الفرصة ، ومنزلته منزلة الآلة التى يُتَوَصَّل بها إلى نيل البُغية ، ومنزلة السُّور الذى يُحرِز المدينة من دخول الآفة ، ومنزلة الجارح الذى يصيد لطُعمة صاحبه ، وليس كل أحد يصلح لهذه المنزلة ، يصلح لكل سلطان ، ما لم يكن معروفا بالإخلاص لمن خدمه ، والمحبة لمن استخصَّه ، والإِيثار لمن قرَّبه .

٥ — صبر العفيف ظريف .

٤٤

مُوَفَّق الدين عبد اللطيف البغدادىّ [١]

هو الشيخ الإمام ، موفق الدين ، أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف ابن محمد بن على بن أبى سعد ، ويعرف بابن اللَّباد ، مَوْصلىّ الأصل ، بغدادىّ المولد ، كان متميزا فى النحو واللغة العربية ، عارفا بعلم الكلام ، واْعتنى كثيرا بصناعة الطبّ ، واشتهر بعلمها ، وسمع الحديث فى صباه ، وكان كثير الاشتغال بالعلم ، لايُخْلِى وقتا من أوقاته من النظر فى الكتب والتصنيف ، ولد سنة ٥٥٧ ﻫ ، ودخل مصر بتوصية من القاضى الفاضل إلى وكيله [٢] بها ، وهو ابن سَناء المُلْك ، فوردت عليه الهدايا والصِّلات ، وأخذ يُقرئ الناس بالمساجد ، ثم رحل إلى القُدس ، واجتمع بصلاح الدين ، ثم رجع إلى دمشق ، وقُرِّرَت له الجامكيات [٣] العظيمة ، وأخذ يُقرئ الناس بالجامع ، ثم عاد إلى القاهرة بعد ذلك ، وأخذ يُقْرِئُ الناس بالجامع الأزهر ، وله الراتب والجِرايات ، وشاهد بمصر ذلك الغلاء العظيم ، والمُوْتان الذى لم يشاهد مثله ، وألف فى ذلك كتابه « الإِفادة والاعتبار » [٤] ثم رحل عن مصر قاصداً دمشق وحلب وبلاد الروم ، وأقام بها سنين ، وتنقل فيها . وتوفى يوم الأحد ١٢ المحرم سنة ٦٢٩ ﻫ ، ودفن ببغداد بعد غيبته عنها خمسا وأربعين سنة .

---

(١) انظر ترجمته مطولة فى ابن أبى أصيبعة (٢ : ٢٠١ — ٢١٣) .

(٢) وكيله : هو المتولى أمر ضياعه وأمواله الخاصة .

(٣) الجامكيات : الرواتب .

(٤) الإفادة والاعتبار ، فى الأمور المشاهدة ، والحوادث المعاينة بأرض مصر — « طبع بمصر عدة طبعات . وطبع فى باريس ، وترجم إلى الفرنسية » .

ومن كلامه :

١ — ينبغى أن تحاسبَ نفسك كل ليلة إذا أَوَيتَ إلى مَنامك ، وتنظر ما اكتسبت فى يومك من حسنة ، فتشكرَ الله عليها ، وما اكتسبت من سيئة ، فتستغفرَ الله منها ، وتُقْلِعَ عنها ، وترتب فى نفسك ما تعمله فى غَدِك من الحسنات ، وتسألَ الله الإِعانة على ذلك .

٢ — أوصيك ألّا تأخذ العلوم من الكُتب ، وإن وثِقْت من نفسك بقوة الفهم ؛ وعليك بالأُسْتاذِين فى كل علم تطلب اكتسابه ، ولو كان الأستاذ ناقصا ، فخذ عنه ما عنده ، حتى تجد أكمل منه ؛ وعليك بتعظيمه وترجيبه [١] ، وإن قَدَرْتَ أن تفيده من دنياك فافعل ، وإلا فبلسانك وثنائك . وإذا قرأت كتابا فاحرِص كل الحرص على أن تستظهره [٢] ، وتملك معناه ، وتَوَهَّمْ أن الكتاب قد عُدِم ، وأنك مستغن عنه ، لاتحزنُ لفقده . وإذا كنت مُكبًّا على دراسة كتاب وتفهمه ، فإياك أن تشتغل بآخر معه ، واصرف الزمان الذى تريد صرفه فى غيره إليه ، وإياك أن تشتغل بعلمين دفعة واحدة ، وواظب على العلم الواحد سنة أو سنتين أو ما شاء الله ، فإذا قضيت منه وَطرك ، فانتقل إلى علم آخر . ولا تظنَّ أنك إذا حصَّلت علماً فقد

(١) ترجيبه : هيبته وتعظيمه .

(٢) تستظهره : تحفظه .

اكتفيت ، بل تحتاج إلى مراعاته ، لينميَ[١] ولا ينقُص ، ومراعاته تكون بالمذاكرة والتفكر ، واشتغال المبتدِئ بالتحفُّظ والتعلم ، ومباحثة الأقران ، واشتغال العالم بالتعليم والتصنيف . وإذا تصديت لتعليم علم ، أو للمناظرة فيه ، فلا تمزُج به غيره من العلوم ، فإن كل علم مكتف بنفسه ، مستغن عن غيره ، فإنّ استعانتك فى علم بعلم ، عَجْز عن استيفاء أقسامه ، كمن يستعين بلغة فى لغة أخرى ، إذا ضاقت عليه ، أو جهِل بعضها .

قال : وينبغى للإنسان أن يقرأ التواريخ ، وأن يطَّلع على السِّيَر ، وتجارِب الأمم ، فيصيرَ بذلك كأنه فى عمره القصير ، قد أدرك الأمم الخالية ، وعاصرهم وعاشرهم ، وعرف خيرَهُم وشرَّهم .

قال : وينبغى أن تكون سيرتك سِيرة الصَّدْر الأَوَّل ، فاقرأ سيرة النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وتتبعْ أفعاله وأحواله ، واقتف آثاره ، وتشبه به ما أمكنك ، وبقدر طاقتك ، وإذا وقفت على سِيرته فى مطعمه ومَشربه ومَلبَسه ، ومنامه ويقظته ، وتمرُّضه وتطبُّبه ، وتمتعه وتطيُّبه ، ومعاملته مع ربه ، ومع أزواجه وأصحابه وأعدائه ، وفعلت اليسير من ذلك ، فأنت السعيد كلُّ السعيد .

(١) ينمى : يزيد .

قال : وينبغى أن تكثر اتهامك[1] لنفسك ، ولا تحسِن الظن بها ، وتَعرِضَ خواطرك على العلماء ، وعلى تصانيفهم ، وتتثبت ولا تعجَل ولا تُعْجَب ، فإن مع العُجْب العِثار ، ومع الاستبداد الزلَل . ومن لم يعرق جبينه إلى أبواب العلماء ، لم يُعْرِق فى الفضيلة ، ومَنْ لم يخجلوه لم يبجِّله الناس ، ومن لم يبكِّتوه لم يُسَوَّد ، ومن لم يَحتمل ألم التعلّم ، لم يذق لذة العلم ، ومن لم يَكْدَح ، لم يُفْلِح . وإذا خلوت من التعلم والتفكر ، فحرك لسانك بذكر الله وبتسابيحه ، وخاصة عند النوم ، فيتشرَّبَه لُبُّك ، ويتعجَّن فى خيالك ، وتتكلم به فى منامك . وإذا حدث لك فرح وسرور ببعض أمور الدنيا ، فاذكر الموت ، وسرعة الزوال ، وأصناف المنغِّصات . وإذا حَزَبَك أمر فاسترجع[2] . وإذا اعترتك غفلة فاستغفر . واجعل الموت نُصْب عينك ، والعلمَ والتُّقى زادك إلى الآخرة . وإذا أردت أن تعصِيَ الله فاطلب مكانا لا يراك فيه .

واعلم أن الناس عيون الله على العبد ، يريهم خيره وإن أخفاه ، وشره وإن ستره ، فباطنه مكشوف لله ، والله يكشفه لعباده ، فعليك أن تجعل باطنك خيرا من ظاهرك ، وسرَّك أصح من علانيتك ، ولا تتألم إذا أعرَضت عنك الدنيا ، فلو عرَضَتْ لك لشغلتك عن كسب

---

(١) فى ابن أبى أصيبعة : إيهامك . تحريف .

(٢) حزبه الأمر : نزل به وأهمه . واسترجع : قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

الفضائل ، وقَلَّما يتعمق فى العلم ذو الثروة ، إلا أن يكون شريف الهمة جِدّا ، أو أن يُثْرىَ بعد تحصيل العلم .

وإنى لا أقول إن الدنيا تُعرِض عن طالب العلم ، بل هو الذى يُعْرِض عنها ، لأن همته مصروفة إلى العلم ، فلا يبقى له التفات إلى الدنيا ، والدنيا إنما تحصُل بحرص وفكر فى وجوهها ، فإذا غفل عن أسبابها لم تأته ، وأيضا فإنّ طالب العلم تَشْرُف نفسه عن الصنائع الرذْلة ، والمكاسب الدنّية ، وعن أصناف التجارات ، وعن التذلُّل لأرباب الدنيا ، والوقوف على أبوابهم . ولبعض إخواننا بيت شعر :

من جدَّ فى طلب العلوم أفاتَه   شَرَفُ العلوم دناءَة التحصيل

وجميع طُرِق مكاسب الدنيا تحتاج إلى فراغ لها ، وحِذْق فيها ، وصرف الزمان إليها ، والمشتغل بالعلم لايسعه شىء من ذلك ، وإنما ينتظر أن تأتيه الدنيا بلاسبب ، وتطلبه من غير أن يطلبَها طلبَ مثلها ، وهذا ظلم منه وعدوان . ولكن إذا تمكن الرجل فى العلم ، وشُهِر به ، خُطِبَ من كل جهة ، وعُرِضت عليه المناصب ، وجاءته الدنيا صاغرة ، وأخذها وماء وجهه موفور ، وعرضه ودينه مَصُون .

وأعلم أن للعلم عَبْقةً وعَرْفاً [1] ينادى على صاحبه ، ونورا وضياء يشرق عليه ، ويدل عليه ، كتاجر المسك ، لايخفى مكانه ، ولا تُجْهَل بِضاعته ؛

---

(١) رائحة طيبة .

وكمن يمشى بِمشْعَل فى ليل مَدْلَهِمّ ، والعالم مع هذا محبوب أينما كان ، وكيفما كان ، لايجد إلا من يميل إليه ، ويُؤْثِر قربه ، ويأنَس به ، ويرتاح بمداناته .

واعلم أن العلوم تَفُورُ ثم تغور ، تفور فى زمان ، وتَغُورُ فى زمان ، بمنزلة النبات أو عيون المياه ، وتنتقل من قوم إلى قوم ، ومن صُقْع إلى صقع .

٣ — ومن كلامه :

اجعل كلامك فى الغالب بصفات : أن يكون وجيزا فصيحا فى معنى مُهِمّ أو مستحسنٍ فيه إلغازٌ مّا ، وإِبهام كثير أو قليل ، ولا تجعله مُهْمَلا ، كـكلام الجمهور ، بل رَفِّعه عنهم ، ولاتباعْده عليهم جدّا .

٤ — إِياكَ والهذرَ والكلامَ فيما لا يعنى ، وإِياكَ والسكوتَ فى محل الحاجة ورجوع النَّوْبَة [١] إِليك ، إِما لاستخراج حقّ ، أو اجتلاب مودة ، أو تنْبيه على فضيلة . وإِياكَ والضَّحكَ مع كلامك ، وكثرةَ الكلام ، وتبتير [٢] الكلام ، بل اجعل كلامك سَرْداً بسكون ، بحيث يُستشعَر منك أن وراءه أكثر منه ، وأنه عن خميرة سابقة ، ونظر متقدم .

---

(١) رجوع النوبة إليه : مجىء دوره فى الحديث بالمجلس .

(٢) تبتير : تقطيع .

٥ — إياكَ والغلظةَ فى الخطاب ، والجفاء فى المناظرة ، فإن ذلك يَذْهَب ببهجة الكلام ، ويُسْقِط فائدته ، ويُعْدِم حَلاوته ، ويجلب الضغائن ، ويَمْحَق المودّات ، ويصير القائل مستثقلا ، سكوته أشهى إلى السامع من كلامه ، ويثير النفوس على معاندته ، ويبسُط الألسن بمخاشنته ، وإذهاب حُرْمته .

٦ — لاتترفَّعْ بحيث تُسْتَثْقَل ، ولا تتنازلْ بحيث تُستخسّ وتستحقر .

٧ — اجعل كلامك كله جَدًلا ، وأجِبْ من حيث تعقِل ، لا من حيث تعتاد وتألف .

٨ — انتزح عن عادات الصِّبا ، وتجرَّدْ عن مألوفات الطبيعة ، واجعل كلامك لاهُوتيا فى الغالب ، لاينفك من خبر ، أو قرآن ، أو قول حكيم ، أو بيت نادر ، أو مثل سائر .

٩ — تجنب الوقيعة فى الناس ، وثلبَ[1] الملوك ، والغلظةَ على المُعاشر ، وكثرة الغَضَب ، وتجاوُزَ الحدّ فيه .

١٠ — استكثر من حفظ الأشعار الأمثالية ، والنوادر الحكمية ، والمعانى المستغربة .

١١ — ومن دعائه : اللّهمّ أَعِذنا من شُمُوس الطبيعة ، وجُمُوح النفس الرَّدِية ، وسلّس لنا مقاد التوفيق ، وخذ بنا فى سَواء الطريق .

---

(١) إظهار معايبهم .

ياهادىَ العُمْى ، يامرشد الضُّلّال ، يامحيي القلوب الميتة بالإِيمان ، يا منير ظلمة الضلالة بنور الإِيقان[١] ، خذ بأيدينا من مَهْواة الهَلَكة ، نجّنا من رَدَغَةِ[٢] الطبيعة ، طهرنا من دَرَن الدنيا الدنية بالإِخلاص لك والتقوى ، إِنك مالك الآخرة والدنيا .

٤٥

أبو الحسن الأَثْرَدِى[٣]

كان طبيب السلطان مسعود بن محمد بن مَلِكْشاه ، وكان حكيما .

ومن كلامه قوله :

١ — من أكثر استماع الحكمة أوشك أن يتكلم بها .

٢ — الكريم هو الذى لا يُزيله عن غريزته نِعمةٌ ولا مِحنة .

---

(١) فى ابن أبى أصيبعة : الاتقان . ولعله محرف عما أثبتناه .

(٢) الردغة ، بتحريك الدال وتسكن : الماء والطين والوحل الكثير الشديد .

(٣) الأثردى : كذا فى الأصل ، نقلا عن تتمة صوان الحكمة للبيهقى طبعة لاهور . وفى تاريخ حكماء الاسلام : الأبردى . وفى ابن أبى أصيبعة : ابن أثردى . هذه كنية لخمسة من فضلاء أطباء بغداد ، من أسرة واحدة ، ذكرهم ابن أبى أصيبعة (١ : ٢٩٧ ، ٢٩٨) رأسهم أبو الغنائم هبة الله بن على بن الحسين ابن أثردى . وابناه : على وسعيد ؛ وابناهما : الحسن بن على ، وعلى بن سعيد . والذى يكنى أبا الحسن منهم اثنان : على بن هبة الله ، وعلى بن سعيد . ولاندرى أيهما المقصود بهذه الترجمة ، لأن تراجمهم فيه مختصرة جدا . كما لاندرى نسبة « أثردى » إلى أى شىء .

٤٦

الحكيم ميمون بن النَّجيب الواسطىّ

كان طبيبا فاضلا حكيما . وسمعت أنه كان يحفظ المنطق والطبيعيات والإلهيات من كتاب الشفاء. وقلما يخالط أرباب الجاه والمال. وكان شرفُ الدين ظهيرُ الملك علىّ بن الحسن البيهقى عامل هرَاة مدة، ويشتاق إلى مجورة الحكيم ميمون ، وميمون عزيز النفس ، قليل الاختلاف إلى أولياء السلطان ، فإذا مرض الظهير ، أو مرض واحد من أولاده ، أنزل ظهير الملك الأتراك فى دار ميمون حتى أزعجوه ، وصيّروه مضطرا إلى رفع الحال إلى العامل ، فعند ذلك يرتبطه ظهيرُ الملك حتى يعالج مرضه ، ويجاوره ويجالسه مدة . وسمعت أن ميمون بن النجيب كان واسطىّ الأصل ، خُوزِىّ المولد ، مقيما بهراة .

ومن حكم ميمون قوله :

١ — إن نِلت حاجة برأى خطأ ، فلا يشجعنك ذلك على معاودة الخطأ[١] ، ومجانبة الصواب ، فإن سلامة عواقب الخطأ نادر[٢] .

---

(١) فى « تاريخ حكماء الاسلام » للبيهقى ، بعد لفظة الخطأ : تارة أخرى ، وسقط منها بقية القول .

(٢) أى أمر نادر ، ولذلك لم يؤنث الخبر .

٢ — العاقل من إذا نزل عليه بلاء لم يُدْهِشْه عن طلب الحيلة ، وهذا هو الحزم ؛ والعاجز هو الذى يَدْهَش فى البديهة ، ولا يُعِدّ لما لم يأت عُدَّة .

٣ — لاينفع القول وأن كان حكمة وصوابا مع سوء الاستماع .

٤٧

عبد أَيشوعَ[1] بن يوحَنَّا المتطبِّب

كان حكيما كاملا فى الحكمة ، والغالب عليه الطب .

ومن حكمه قوله :

١ — من لم يعرف نفسَه فكيف يُوثق به فى علم من العلوم .

٢ — النفس علّامة إذا أقبلت على العلوم ، وعمّالة إذا أقبلت على السياسات .

٣ — وقال فى الإلهيات : الطَّرَف الأعلى هو الحق تعالى ، والطَّرَف الأسفل هو الإنسان .

٤ — المحاكاة ألذ من حقيقة الشىء .

---

(١) فى الأصل نقلا عن تتمة صوان الحكمة : يشوع وفى تاج العروس (فى وشع) ، وفى تاريخ حكماء الاسلام : أيشوع ، بهمزة فى أوله ، وهو اسم المسيح عليه السلام .

٤٨
الحكيم ظَهيرُ الحقّ محمدُ بن مسعود الأديبُ الغَزْنَوِىّ

صَنَّف كتابا : وسماه « إحياء الحق » ، وسلك فيه طريقا غير طريق أرسطو وأبى علىّ ، واستشهد فيه بمسائل استخرجها ، وبعث بهذا الكتاب إلى السيد أشرَف الغَزْنوىّ .

وكان ذلك الحكيم أديبا فاضلا ، مهندسا طبيبا ، تَتخيَّل لنفسه رتبةُ الاعتراض على المتقدمين ، والاستعداد لِمُنَا قشتِهم ؛ وأما كلامه فى إحياء الحقّ من تصنيفه ، فكلامٌ من تأمله عرف فيه رتبته .

وكتب إلى السيد أشرفَ تلميذه فصلا فيه :

يجب أن يعرف الخطيب فى المنافَرات ، الفرقَ بين المدح والتملُّق ؛ وفى المشاجَرات ، الفرقَ بين الظالم والمظلوم .

واعلم أن الظلم إنما يصدر عن المتهتِّك المعروف بالجَوْر ، والمظلوم هو الوحيد المسكين والضعيف . وشكل المشاجِر فى شكل السَّبُع ، وشكل الشاكى كالباكى .

والخطيب يقدر على تعظيم الذنب وتحقيره ، بأن يقول :

هو أول من فعل ، وما أكبر ما فعل ! وفَعَل فى وقت له حُرْمة ، وفى مكان له حُرْمة . ويقول للفاسق [1] : إنه لطيف لذيذ العشْرة ،

---

(١) فى الأصل نقلا عن تتمة صوان الحكمة : المتأسف ، وهى غير واضحة المعنى هنا . والذى أثبتناه عن « تاريخ حكماء الاسلام » .

وللجبان : وادع ، ولعديم الحسّ والتمييز : عفيف ، وللعييّ : حليم . وربما يذكر علّته فيقول : الحسد لازم للعلماء ، فأنا لخوف الحسد وشرّه أحكم بترك العلم .

٤٩

الحكيم أبو سعيد محمدُ بن عليٍّ المتطبِّب

المعروف أبوه بالحكيم عليّ الطحّان

كان بَيْهَقيّ المنشأ ، ونيسابوريّ المولد ، وله طبع وقّاد ، وتصانيف كثيرة ، وزجّى [١] أيامه ببلخ ، وتوفى بها فى شهور سنة ٥٣٦ هـ .

١ — ومن قوله فى بعض تصانيفه :

إن كثرت التصانيف فى الصناعات الطبية مبسوطة ومختصرة ، فلكل جامع نظم وترتيب مفرد ، وكل مجموع لايخلو عن فوائد غريبة ، ونكت عجيبة ، ولكل واحد غرض صحيح ليس لسواه .

٢ — وقال :

الله تعالى نسّق الكَون ورتبه أحسن تنسيق وترتيب ، وركب الأجسام من مبادئها أفضل تركيب .

٣ — وقال فى مبادىء كتابه فى البواسير :

من ساعده حسن فِطرة ، وذكاء فِطنة ، ورغبة فى اقتناء الفضائل ، واقتباس الفوائد ، وابتُلِيَ ببعض الأمراض المزمنة ، وطالت

---

(١) زجى أيامه : قضاها .

معالجته إياها ، واتصلت التجارب بما عنده من فتاويهم ، وكان له بأحوال مِزاجه الأصلىّ والعارضىّ الغريب ، وطباع الأغذية التى يتناولها عِلْم ، ثم ظفر بتصنيف جامع خاصّ بمداواة علته ، أمكنه أن يَسْتَقِلَّ ببعض تدبير مزاجه ، والاحتراز أَنْ تزيد عارضته ، مع أنه لا يأمن الخطأ والزلل ؛ فإن لم تكن الصناعة له مَلَكة ، فقلما يتيسَّر له التصرف فيها .

٤ — من العلل ما لا يمكن الاستغناء فيها عن الطبيب الحاضر المراقِب ، لظهور العلامات الدالة على ما تحتاج الطبيعة إليه من معاونته ومعالجته ، والمبادرة إلى تدبير ما يحدث بالمريض ساعة فساعة ؛ وأمّا العلل الحادّة ، فتأليف الكتب فيها غير محمود إلا للطبيب .

٥٠

الأميرُ السيدُ الإمامُ ، زينُ الدين إسماعيلُ بن الحسن الحسينىّ الجُرْجانىّ الطبيب

أحيا الطبّ وسائر العلوم بتصانيفه اللطيفة ، ورأيته بسَرَخْسَ فى شهور سنة ٥٣١ هـ وقد بلغ من العلم أُطْوَرَيْه [١] ، وقد ارتبطه الملك العالم العادل خوارزْمشاه أَتْسِزُ بن محمد بخوارزم مدة ، فصنف بخوارزم : الخفىّ العلائى ،

(١) فى الأصل نقلا عن تتمة صوان الحكمة للبيهقى : العمر ، فى مكان : العلم . والتصويب عن تاريخ حكماء الاسلام ص ١٧٢ ، يقال : بلغ فلان من العلم أطوريه ، بفتح الراء : أى حديه : أوله وآخره ، أو عرف أصوله وفروعه ؛ قال العسكرى فى جمهرة الأمثال : وهو من قولك طرت الدار : إذا طفت بها كلها . وهو مثل يضرب للتناهى وبلوغ الغاية فى الشىء .

والطبّ المُلوكىّ ، وكتاب الذخيرة ، وكتاب الأغراض ، وكتاب ياذ گار[١] ، وكتبا أخرى فى الحكمة ، وكتابا فى الرد على الفلاسفة ، وكتاب تدبير يوم وليلة ، باسم القاضى أبى سعيد الشارعىّ ، وكتاب وَصِيَّتْ نامهْ ؛ وسارت بتصانيفه الرُّكبان ، وهى كتب مباركة .

وسمعت ممن أثق به أنه كان لطيف المعاشرة ، حسن الأخلاق ، كريما فى ذاته .

ومن فوائده رسالة له أوردتها بتمامها ، واختتمت بها الكتاب ، وهى :

مالى أراك يا أخى ، أيدك الله وإياى بتوفيقه ، شديدَ السُّكُون إلى هذه الدنيا الزائلة ، والدار الفانية ، كثيرَ الميل إلى تربية هذا الجسد المظلم الكثيف ، الذى هو أجمح مَركَب ، وأخبث مسكن للنفس ، سهل الانقياد لقوتيك الغضبِيَّة والشهْوانية ، اللتين تجرك إحداهما إلى السَّبُعية ، والأُخرى إِلى البهيمية[٢] ، صعبَ المقَادة ، عَسِرَ الإِجابة لقوتك العاقلة ، التى تؤديك[٣] جنةَ المأوى ، وترقِّيك الدرجة العُليا . لعلك قد انخدعت ، بل قد اغتررت بمباشرة هذه اللذات ، التى كلُّها[٤]

---

(١) كذا فى الأصل نقلا عن تتمة صوان الحكمة للبيهقى . وفى تاريخ حكماء الاسلام ص ١٧٢ : يادكار ، بالدال المهملة .

(٢) السبعية : مصدر صناعى معناه مشابهة السباع ، والبهيمية : مشابهة البهائم .

(٣) تؤديك : كذا فى الأصل نقلا عن تتمة صوان الحكمة للبيهقى . يقال : أداه إليه : أوصله إليه . والأصل : أداه إلى جنة المأوى ، فحذف الجار ، أو ضمن الفعل معنى تدخل . وفى تاريخ حكماء الاسلام : تؤدى بك إلى ، والباء زائدة ، أو على تضمين الفعل معنى : تنتهى . وقد تكون اللفظة فى الأصل محرفة عن « تؤويك » .

(٤) كذا فى الأصل نقلا عن تتمة صوان الحكمة . وفى تاريخ حكماء الاسلام : محلها ، فى موضع : كلها . وهو تحريف .

فى الحقيقة آلام ، وأى آلام ، أما علمت أن اللذاتِ الدنياوية كلَّها فى أكل الطيّب ، وشرب العَذْب ، ولُبْس الليِّن ، وركوب المُهَمْلِج [١] ، وقهر العدوّ ، والتمتع بالحسناء ، وهذه كلها حاجات متعبة ، وخصوصا للعقلاء ، وضرورات مزعجة للمتيقظين من العلماء ، لأن الأكل والشرب إنما هو لدفع ألم [٢] الجوع والعطش ، واللبْس أيضا لدفع ألم الحرّ والبرد ، والركوب لمنع تعب المشى ، وقهر العدوّ لطلب التشفى من ألم الغيظ ، والنكاح إنما هو طلب لذة بدنية ، بمباشرة عضو حقه أن يُستر ، ويُستحيا من كشفه ، وخصوصا من الرجل الرَّزين العاقل ، الذى يكره أن يَكشِف عن ساعده مثلا ، ثم فى تلك الحال يحتاج إلى كشف عضوه المستور ، وربما دعاه استلذاذه إلى كشف مثل ذلك العضو من المفعول ، فما أخسّ هذه اللذة عند العاقل المتيقظ ! وما أهونها عليه ! وما أقبحها عنده ، وما أفضحها لديه ! [هكذا] [٣] . ثم لا خلاف أن الحاجة غير طيبة ولا لذيذة ، ولا مطلوبة ولا محبوبة .

وهذه الأحوال ، أعنى اللذاتِ كلَّها — كما ترى — حاجات ، والحاجات آلام ، ولو كانت فيها فضيلة لما استغنت الملائكة المقربون عنها ،

(١) المهملج والهملاج : هو البرذون المسمى بالرهوان ، ومشيه : الهملجة ، وهى حسن سير الدابة فى سرعة . ويقال : هملج فى مشيه (انظر تاج العروس واللسان) .

(٢) ألم : ساقطة من تاريخ حكماء الاسلام ، وتتمة صوان الحكمة .

(٣) هذه الكلمة أضافها الناشر لتاريخ حكماء الاسلام إلى الأصل ، مشككا فى صحة اللفظة التى قبلها (أفضحها !) .

ولا نُزِّهَت منها[١] ، وكل اللذة فى ألّا يؤلم جُوع ، ولا يُؤْذِىَ عطش ، ولا يُتعِبَ مشى[٢] ، ولا يُؤذىَ حرّ ولا برد ، ولا ينغصَّ العيش حَرَدٌ[٣] ولا غضب .

ولقد صحبت من إذا جاع صَبَرَ طويلا ، ثم إِذا قُدِّم إِليه الطعام بكى ثم أكل . ومن قوله : « اللهم أنت خلقتنى ، وأنت أخرجتنى ، وبالخطاب أكرمتنى ، فهب لى ما وعدتنى » !

وكأنّ هذا الكلام شكاية من هذا الصديق عن ألم الحاجة . نعم ، من عرف كنه ألم الشىء ، فإِن تألمه به يكون أشدّ وأكثر ، وأتَمَّ وأبلغ .

وقد كتبت إِليك — يا أخى — هذه المُباثَّة منبّها لك ، وعالما بأنك تتنبّه بأدنى إِشارة وتحريك لسان .

وأنا منذ زمان أستعمل هذا الدعاء ، وأقول :

اللهم إنى أسألك غير متحكِّم عليك ، أن تكفينَى مُؤنة هذا الجسد ، الذى هو سبب كل مَذَلّة ، وأصل كل حاجة ، والجاذب إلى كل بليّة ،

---

(١) فى تاريخ حكماء الاسلام : تنزهت منها ، والفعل تنزه يتعدى بعن لا بمن .

(٢) الكلام من هنا إلى آخر الرسالة : ساقط من تاريخ حكماء الاسلام طبعة دمشق .

(٣) الحرد : هو الغضب .

والطالبُ لكل خطيَّة ، وأن تيسر الخلاص منه على أسهل وجه ، وأفضل حال ، إلى خير معَاد ، وأحسن مآل ، بمنّك وفضلك ، ياذا المنّ والإفضال .

فإن رأيت أن توافقنى فى استعماله ، فخفف رَحْلَك ، وشمِّر ذيلك ، وأزِحْ عِلتَّك ، وقَصِّر أمَلَك ، وطهِّر خُلُقَك ، ونقِّ طُرُقَك ، تبلغْ وتسلمْ ، وتذُق ولا تندمْ . والسلام .

٥١

أحمد بن عبد المنعم الحكيم البغدادىّ

كان حسن المعرفة بالأدب والطِّب ، توفى عام ٦٢٣ هـ .

ومن شعره :

إذا لم أجد لى فى الزمان مُؤانِساً ... جعلت كتابى مُؤْنسى وجليسى

وأغلقت بابى دُونَ من كان ذا غنًى ... وأَمْلَيْتُ[١] من مال القناعة كيسى

(١) كذا وردت هذه اللفظة فى شعره . يريد : ملأت . (أنظر شذرات الذهب ج ٥ ص ١١٠) الذى نقل عنه المؤلف .

٥٢

سعدُ بنُ أحمدَ بن إبراهيم بن لُيُونَ[١] التُّجيبيُّ أبو عثمان

من أهل المَرِيّة

الفقيه الجليل، الأستاذ المصنّف، الطبيب الأعرف الماهر؛ من أجلّ علماء الأندلس وأبرعهم تأليفا؛ له تصانيف عِدّة فى فنون، نحوُ ثلاثين تأليفا، نثرا ونظما.

ومن شعره :

ماتَمَّتِ الدنيا لشخصٍ ولا أمَلَّ ذا فيها سوى مَن فُتِنْ
عادتُها الفتك بمن رامها وكلّ من أعرض عنها أمِنْ
فلا تَغُرَّنْك بلذّاتها فإن من غُرّ بها قد غُبِنْ

وقوله :

لاتقبَلِ الحكم على بلدةٍ نشأتَ فيها إنه يُحقَدُ[٢]
رياسةُ المرء على الأهل والـ ـجيران والخُلّان لا تُحمَدَ

(١) وردت هذه الكلمة « ليون » بالياء فى نيل الابتهاج بتطريز الديباج الذى نقل عنه المؤلف. والمعروف فى أعلام الأندلسيين والمغاربة « لبون » باللام ثم الباء المشددة المنقوطة بواحدة من تحتها. قال فى تاج العروس : واللب، بالضم، فى لغة الأندلس والعدوة : سبع معروف عندهم، شبيه بالذئب؛ قال أبو حيان فى شرح التسهيل : « وليس يكون فى غيرها من البلاد ». فلعل أصل هذه الكنية من ذلك. على أن من الأندلسيين من كنى بابن لبون « بالباء المنقوطة بواحدة » قبل صاحب الترجمة، وهو ذو الوزارتين القائد أبو عيسى بن لبون، ذكره ابن بسام فى المطبوع رقم ٢٦ من مطبوعات جامعة فؤاد الأول، وهو كتاب « الذخيرة، فى محاسن أهل الجزيرة » ص ١٦ القسم الأول، من المجلد الأول.

(٢) أى يحقد عليك. حذف الجار والمجرور للشعر.

وقوله :

تغافلْ فى الأمور ولا تكثّرْ تقصِّيها فالاستقصاء فُرْقه

وسامحْ فى حقوقك بعض شىء فما استوفى كريمٌ قطُّ حقّه

وقوله :

يَحِقُّ الحقُّ حتما دون شكٍّ وإن كَرِه المُشكِّك والمَلَدُّ[1]

صريحُ الحقّ قد يخفَى ولكنْ بُعَيدَ خفائه لاشكَّ يَبْدُو

٥٣

الحكيم على المنَادِلىّ[2] النيسابورىّ

كان حكيما عالما بدقائق الحكمة .

قال :

١ — هذا زمان فَقَدْنا فيه ما كان يوحشُنا فَقْدُه ، ووجدنا فيه ما يضرنا وجودُه .

٢ — ثمرة العلم حُلْوة ، والنفقة فيها مُسْتخلَفَة .

٣ — الرأى الصائب أعمُّ منفعة ، وأقل عند نازلة مَضَرَّة ونقصانا .

٤ — ما أصبتَ من الدنيا شيئا إلا احتاج ذلك الشىء إلى شىء آخر ، فصاحِبُ الدنيا أبدا فقير محتاج .

---

(١) الملد ، بكسر الميم : الخصم الجدل الشديد الخصومة .

(٢) فى الأصل : الناتلى . خطأ . والتصويب عن تاريخ حكماء الاسلام .

٥٤

أبو القاسم الكرْمانى

كان حكيما عالما جرت بينه وبين أبى علىّ[١] مناظرة ، أدّت إلى مشاجرة ، ونسبه أبو علىّ إلى قلة العناية بصناعة المنطق ، ونسبه الكرمانى إلى المغالطة .

ومن كلامه :

١ — الطبيب خادم القدَر ، صَحّ المريض أو هَلَك .

٢ — وقال يوما لأبى علىّ : لاتَقْدُرْ[٢] ما عندك بتهجين ما عند غيرك ، فإن الحق أبلَج ، والإنصاف لم ينعدم .

٥٥

الحكيمُ سديدُ الدين أبو الثناء محمودُ بن عمرَ الحابولىّ

عُرِف بابن دقيقةَ الشيبانىّ

صنف كتاب « قانون الحكماء وفِردوس النُّدَماء » ، وكتاب « الغرض المطلوب ، فى تدبير المأكول والمشروب » ، وغيرَ ذلك ، توفى سنة ٦٣٥ هـ .

وله ديوان شعر ، منه فيما يتعلق بالطبّ :

تَوَقّ الإِمتلاءَ[٣] وعَدِّ عنه وإدخالَ الطعامِ على الطعامِ
وإكثارَ الجماعِ فإن فيهِ لمن والاه داعيةَ السَّقامِ

---

(١) هو أبو على الحسين بن سينا ، أشهر أطباء المسلمين .

(٢) قدر الشيء يقدره ، من باب نصر : عظمه . ومنه : « وما قدروا الله حق قدره » .

(٣) قطعت الهمزة هنا وهى همزة وصل ، لضرورة الشعر .

ولاتشرب عقيبَ الأكل ماءً لتسلم من مضرّات الطعامِ

ولاعند الخَوَى[1] والجوع حتى تلَهّى باليسير من الإِدام

وخذ منه القليلَ ففيه نفع لدى العطش المُبَرِّح والأُوام[2]

وهضمَكَ أصْلحنه[3] فهو أصل وأسْهِل بالأيارج[4] كل عامِ

وفَصْدَ العِرق نكِّبْ عَنْهُ إلّا لَدى مَرَضٍ لِطيب الطّبع حام[5]

ولاتتحركنّ عقِيبَ أكلٍ وصَيِّرْ ذاك بعد الإِنهضام

ولاتُطِل السكونَ فإن منه توَلُّدَ كل خِلْط فيك خام[6]

وقلِّل ما استطعت الماءَ بعد الـــرّياضة واجتنب شرب المُدام

---

(١) الخوى ، بوزن الهوى : خلو الجوف من الطعام .

(٢) الأوام ، بوزن غراب : شدة العطش .

(٣) فى الأصل نقلا عن شذرات الذهب ، فى أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلى (ج ٦ ص ١٧٧) : فاصلحنه . تحريف .

(٤) الأيارج ، ويجمع : الأيارجة والأيارجات : لفظ يونانى ، معناه : المسهل المركب الذى لم تمسسه النار . قاله الشيخ داود الأنطاكى فى كتابه : تذكرة أولى الألباب .

(٥) حام : مانع . يقال : حمى الطبيب المريض كذا : إذا منعه إياه . يريد : تجنب فصد العرق إلا عند مرض يمنع طيب الطبع ، إذ يؤثر فى الطبع الصحيح ويغيره .

(٦) الخلط ، بكسر الخاء : كل شىء اختلط بشىء آخر . وهو عند الأطباء : جسم رطب سيال يستحيل إليه الغذاء أولا ، كالدم والصفراء والبلغم ، قاله الشيخ داود فى تذكرته . والخام : الخلط البارد الغليظ . قال الشيخ عبد الله بن أحمد الأندلسى المالقى العشاب ، المعروف بابن البيطار ، فى كتابه الجامع لمفردات الأدوية والأغذية طبع بولاق سنة ١٢٩١ هـ فى رسم « الخيار » : فاذا عسر انهضامه ، وبعدت استحالته ، تولد عنه الخلط البارد الغليظ المسمى الخام ؛ لأن سائر الفواكه إذا عسر انهضامها ، وبعدت استحالتها ، تعفنت وولدت خلطا رديئا مذموما ، شبيها بكيفية الأدوية المسمومة . وأسبقها إلى ذلك ، وأخصها به الخيار ، لانه أعسر انهضاما بالطبع .

وخلِّ السُّكْرَ واهجُرْهُ مَلِيًّا فإنِ السكر من فعل الطَّغَام[1]

وأحسِنْ صَوْنَ نفسك عن هواها تفز بالخُلْد فى دار السلام

٥٦

الحكيم ناصر الدين الهرمُزْدِىّ الماسورابادىّ

كان سليل الأكاسرة ، عالما بأجزاء علوم الحكمة ، مع طبع وقاد فى الشعر العربىّ والفارسىّ ، مات حتف أنفه بنيسابور ، وقد دعاه ملك الوزراء طاهر بن فخر الملك إلى مرو ، للارتباط بالحضرة .

ومن كلماته :

١ — تتغير الدار ولا يتغير مالك الدارين .

٢ — الشِّرِّير يُباهى بالشر ، والخيِّر يستحيي من الخير ، فما أبعد أحدهما عن الآخر !

٥٧

يحيي النحوىّ الدَّيْلمىّ

وهو غير النحوىّ الإسكندرانىّ[2] الملقب بالبَطْرِيق . كان من القدماء ، نصرانيا فيلسوفا . وقال أبو علىّ فى حقه : هو المُموِّه على النصارى ، لأنه صنف

(١) الطغام : أوغاد الناس وسفلهم .

(٢) فى إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى طبع مصر ص ٣٢ ترجمة ليحيي النحوى الاسكندرى ، وفى ابن أبى أصيبعة (ج ١ ص ١٠٤) ترجمة له كذلك . أما يحيي الديلمى فله ترجمة فى تاريخ حكماء الاسلام للبيهقى طبع دمشق ص ٣٩ وذكر الشهرزورى فى نزهة الأرواح ترجمة لكل منهما .

كتابا ردّ فيه على أفلاطون وأرسطو ، حين همّت النصارى بقتله .
« وقيل له [١] محبُّ التعب ، لـكده فى طلب العلوم ، وتحقُّق ماهيات الأشياء [١] » .
وله تصانيف كثيرة ؛ ومنه أخذ الطبّ خالد بن يزيد بن معاوية [٢] .

ومن كلامه :

١ — ليس منا من لم يعملْ فى صدر نهاره لدنياه ، وفى آخره لعُقباه .

٢ — أقبح الأشياء بالسلطان اللّجاج ، وبالمقاتِلة الجبن ، وبالأغنياء البُخْل ، وبالفقراء الـكِبْر ، وبالشيوخ المُزاح ، وبالشباب الـكسل ، وبجماعة الناس التباغض والتحاسد .

٣ — الفقر الموت الأكبر .

٤ — كُلْ من الطعام ما اشتهيت ، والبَس ما تشتهيه الناس .

٥ — من عرف فضل من هو فوقَه ، عرف فضلَه من هو دُونَه .

---

(١) وردت هذه العبارة فى تاريخ حكماء الاسلام طبعة دمشق ، على أنها من الأقوال الحـكيمة المنسوبة إلى يحيي ونصها : « يجب التعب والـكد فى طلب العلوم وتحقيق ماهيات الأشياء . . . » . ونصها فى نزهة الأرواح للشهرزورى المصور المحفوظ بمكتبة جامعة فؤاد الأول رقم ٢٣٣٢٨ الورقة ٦٤ هكذا : « وقيل له محب التعب فى طلب العلوم وتحقيق ماهيات الأشياء » .

(٢) زاد الأصل هنا العبارة التالية : « وقد أعطاه يحيي بن خالد البرمكى بضع عشرة آلاف دينار ، على نقله كايلة ودمنة إلى شعر » . وهذه العبارة مبتورة من عبارة مطولة ، ذكرها الشهرزورى فى نزهة الأرواح فى ترجمة يحيي النحوى الاسكندرانى . ونصها : « ووصل إليه منهم من العطاء على هذين الـكتابين بضع عشرة آلاف دينار ، لا يستبعد ذلك ، فقد أعطى يحيي بن خالد البرمكى أبان على ترجمته كايلة ودمنة إلى شعر نحو ذلك » : والعبارة هنا واضحة أكثر من تلك . فـكيف يعيش من كان فى زمن خالد بن يزيد إلى عصر البرامكة ؟ ولعل سبب الخلط بين الترجمتين ما قاله الشهرزورى من أن خالد بن يزيد أخذ عن يحيي الديلمى ويحيي الاسكندرى . وعندى أن كلام الشهرزورى فيه اضطراب كثير وتخليط ، وأن نسخته المخطوطة التى أشرنا إليها سابقا لا يصح التعويل عليها ، لـكثرة ما فيها من خطأ وتحريف وتصحيف وزيادة ونقص تبلبل لب القارىء ، وتشتت ذهنه .

١ — فهرس المترجمين

صفحة

صفحة

٢ — فهرس الأعلام

٣ — فهرس البلدان والمواضع

٤ – إصلاح الأخطاء

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١	٨	بُخْتيشوع	بُخْتَيْشُوع
٢٧	٧	غَزْفَة	غَزْنَة
٢٩	١٣	الكِنَّس	الكُنَّس
٥٧	١	بن التِّلميذ	ابن التِّلميذ
٦٩	١٥	الهَمَم	الهِمَم